سنديانة الجبل

مهداة الى « جبل الشقعة » وهو رأس جبل شمالي يقطع الارض في لبنان بين خليج البحر ونهر الجوز ، وقلعة المسيلحة ، ومرامي قمة الارز في ضهر القضيب « على منحدرات الكورة اليابسة » .

بقلم الياس خليل زخريا

★

ويا سنديانة الجبل
ارفعي رأسك بالاخضرار فان جارتنا الشمس ما زالت نائمة هناك مع الليل وراء مقلب التلة .
تلألئي بحبات الندى وبرودة الصباح فان الدفء لما يتسرب مع الضوء الى ارض الكرم .
لتغتبط ، في الزقزقة ، عندك ، اسراب العصافير فان الصيادين لما يصلوا وصولهم الى المنطرة العالية .
وهذه الاغصان القوية لا تتعب حتى في الريح القاسية .
وهذه الاوراق الدائمة لا يرتعش حفيفها حتى في وحشة الخريف .
وهذه الساق السوية لا تميل ميلانها حتى في معاصف العاصفة .
ثم ، وهذه الاثمار المسننة لا تفتح افواهها المكتومة حتى في مواسم القطاف .
اشمخي برأسك فان الجبل كله جذع من جذوعك .
تشارفي على المدى فان الظل الظليل كله مدة لينة من مداتك .

★

واقفة وحدك ، عندنا ، على المنحدر البحري ما بين جبل الشقعة و « ضهر القضيب » وتلك الهضبات القريبات المنسحبة انسحابا على أصابع البحر في مدارج الانطلاق .
تتلفت اليك من القاع في التضرع الصخور الجارفة .
يمر بك الليل في العياء فلا يعلق منه باهدابك سواد .
يعبر الزمن فلا يسقط منه على ثيابك الجديدة حبة غبار .
ينزل الفجر فلا يتمزق منه على رؤوس اوراقك وشاح .

★

كأنك لست بقصة هاربة من قصص الفصول .
كأنك لست بحكاية مختومة من حكايات التراب .
يقرع جرس القرية فلا يرتعش فيك الورق .
يدق ناقوس الساحة فلا يضطرب بك الغصن .
تهرول غمائم الربيع مع سنونو الهاجرة فلا ينقطع منك نفس .
يلقي الخريف بقدميه ومفاصل جسمه فلا يعيا عليك الضجر .
كأنك فاصلة من فواصل الدهر في كتاب الشوق .
كأنك واحة من واحات الماء في صحراء البحر .
كأنك هاتيك « الكورة الخضراء » ، من الزيت والزيتون ، التي رفعنا ، نحن ، جبيننا ، بكلتا يدينا ، على الحرف العربي ، والضمير العربي ، بطولة سرمدية من بطولات القدامى .
كأنك الفاصل القاطع من تلك القواطع بين سحائب الجنوب، وقلعة النهر ، وخلجان الابحار في حنايا الشمال .
لو كان للقوة رداء لكنت رداءها الاخضر .
لو كان للزمن وعاء لكنت وعاءه الصلب .
لو كان للامانة خباء لكنت ملتقى الغيبة في مقدمات الهياكل .

★

اخبرته امه ان ثمرك المشوي طيب وان كان ناشفا مرا .
اخبرته امه ان نارك الاجاجة لا يسكن لها لهيب ولا تهمد لها حرارة .
تأكل نارك ، حتى في رمادها ، على منقل الطين ، اصابع الشتاء .
جمرك في البرد كأنه انفاس الحنين .
رمادك في الهباء كأنه فتات السحاب .
فحمك ، هذا الفحم الاسود النقي الملتمع ، اشد نقاوة من بياض الثلج في كاسات الشراب .
وما هذه المباخر التي يفوح منها الهيكل الا مباخر جمرك .
وما هذا القرأ الذي نرتل عليه المزامير والتسابيح الا قدة من قدات خشبك .
وما هذه العكاكيز التي نضرب بها وجه الليل ، وعرض الطريق ، الا من معاصيل فروعك .
وما هذا المحراث الذي نشق به تراب الارض وحجرها الا من لوحات جذعك .
وما هذا الجسر الذي نرفع عليه قنطرة البيت الا الضلع السوي من اضلاع صدرك .

★

ويوم ودعته امه الى المدينة اعطته من السنديان ، دواة ، ومسكة ريشة ، ومسطرة .
نزل المدينة ، فراح يكتب بالقلم الرصاص ، ويحبر من محبرة الزجاج ، ويسطر بمسطرة الحديد .
صار يأكل من ثمر الكستناء المشوي في الموقد البارد العابر في الرصيف على المناداة عبورا .

ضمة الحفيد

بسمة العمر جددت لي رؤاها ... وتجلى بداءة منتهاها
فاذا القلب في شباب هواه ... واذا العين في صباح ضياها
واذا الارض جنة من ورود ... يملأ الصدر نافح من شذاها
اي بعث تقدم البعث عندي ... اي دنيا تعلقت في سماها
هو سر يفيم طي الحنايا ... يحفظ النفس في دروب صباها
برعم يطلع الوجود جديدا ... طلعة الشمس في جديد سناها

في حفيدي رجعت ابدا عمري ... فحياتي ترود افق بقاها
كلما شدت الطفولة عزمي ... وشفت همتي فجد مضاها
يضحك الشيب في اهابي رضيا ... عن سنين تثاقلت في خطاها

في حفيدي يطيب خاتم عمري ... طيب زهر تنفست في نداها
نشوتي قربه وصحوي نواه ... ومنى العمر وجهه محتواها
قد قرأت الحياة فصلا ففصلا ... وتأملت في معاني هناها
فاذا ضمة الحفيد لصدري ... اختصار لكل انس تناهى

نسيم نصر

ارتخى فيه كل شيء ، حتى حبل الضمير .
ضعف فيه كل شيء حتى عكاز الليل الاعمى .
تدفأ من غير دفء .
حرث الارض من غير معول ، ولا مجرفة ، ولا محراث .
بنى بيته من غير قنطرة ولا جسر ، حتى ولا شرفات
يتمشى عليها الهواء .

★

ويا سنديانة الجبل
بوركت فيك صلابة الصبر
سلمت فيك نكهة الغاب
قدست فيك جذوع التمرد .
ولم يبق من السنديان القديم في قريته الا مدخل القرية
كان ابوه يرفع الجرن الذي وزنه فوق وزنه
كان ابن عمه يدق الجرس الذي قبته فوق قبته
كان اخوه يقيم بطرف اصابعه المحراث الذي ثقله فوق ثقله
ومات ابوه ولم يبق عندهم منه الا الصدأ على معوله
ومات ابن عمه ولم يبق لهم منه الا زناره واخبار شبابه .
ومضى اخوه يجرجر على الدرب اشباحه الصفراء كأنه
في المدينة الشبح الهارب من الشبح .
وقالت له ابنته يوما :
« ويا ابتاه ، لم لا تقطع من كرمنا هذه السنديانة فقد
خيمت على العريشة حتى هش فيها العنب ؟ » .
كان اطيب العناقيد عنقود يتدلى من سنديانة .
كان اقوى الجبال جبل في راسه سنديانة .
لقد أحنى الجبل العالي جبهته فقد كثر فيه الكرز والتفاح
وقلت فيه جلول السنديان .
حتى « جبل الشقعة » ، جبل السنديان صار معبرا سهلا
من معابر « المسيلحة »
امست الكورة الخضراء ، صخورا مشققة من قلة التراب .
يشدها البحر فتفرق
ينطوي عليها السفح فتنهار
كأنها نسيت ان اول ما رفعت في الرجولة ، كان علما
عربيا في جبينها على صارية ابدية من سنديان .
ويا سنديانة الجبل
حدثينا عن التراب الذي صار وحلا
عن الحجر الذي امسى موطئا
عن القبة التي غدت عشا ومخبئا
عن العتبة العالية التي سقطت سقوطها عن راحات الرجال
حدثينا
عن الرجل ، السنديانة ، الذي حمل في صدره الجبل ،
والشمس واساطير البحر الازرق .
.... وخبأ راسه في بيته ونام ..

الياس خليل زخريا



الدكتور محمد رجب البيومي

ابن خلدون في مأزق حرج

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

مساكين بائسون !! هؤلاء الذين تقذف بهم نحوسهم الاليمة الى طغاة سفاحين ثم لا يجدون من سعة الحياة ومرونة التخلص ما يعصم نفوسهم من الهلاك فترين الدهشة على عقولهم وتتردد الحيرة في ألسنتهم ، ثم ينطقون بكلمات متقطعة مبهمة تزيد اللهب اشتعالا ، والطغيان تماديا ، فيلقون حتوفهم الموبقة شهداء ابرياء ، ولو كان لهم اثارة من لباقة لعصموا الدماء أن تراق في ساعة طيش هوجاء لقد كان تيمورلنك طاغية سفاحا يرتاح للدماء المسفوكة والاشلاء الطائرة ارتياح الكريم للعطاء ، فهو لا يفتأ يتطلب عند الدول ترات موهومة توجب الحرب فالابادة والاستئصال ، فكم احرق من مدن عامرة ، وكم ذبح من الاف وآلاف وكم بنى من جماجم الشهداء ابراجا خلف ابراج ، وكأني به وقد صعد بصره الى الافق فشاهد النيران تندلع ، وسمع الصراخ يدوي ، وتأمل مشاهد الرعب الدامية في الطبيعة الهائجة المفزعة ، فالمنازل تهوي من عليائها كالرمال ، والاشجار والنخيل تترنح في مهب العاصفة ثم تتخاذل متساقطة ، والشمس يحجبها الغبار المنتشر فتتوارى الى امد ، والماء يضطرب في جداوله مصبوغا بحمرة الدماء !! كأني به وقد راى ذلك كله فهزه انتعاش مريح ، وفاض على خاطره من الصفاء ما يفيض على قلب المؤمن الخاشع حين يستمع الى نداء الفضيلة ، فيأسو الجراح الناغرة ، ويمسح آثار الدموع الهاميات .

لقد سجل التاريخ فظائع تيمورلنك بمداد تنزف سطوره بالدماء ، وتتلهب حروفه بالحسرة ، ولكنه سجل فيما سجل بعض المزايا المقبولة لهذا السفاح الرهيب ، فقد ذكر مؤرخوه انه كان يقرأ القرآن صباح مساء ! وانه احب العلم والعلماء فولع بمجالس المناظرة ومباحث الجدل في الشريعة وعلم الكلام ، وانه كان يحمل مسجدا متنقلا من الخيام الممتدة على هيئة سرادق فسيح ، فاذا استراح في مكان ما ، نصب مسجده ، وصدع الآذان يدوي فأقبل جنوده على الصلاة افواجا وراء افواج !!! وفي مجالس العلم التي يهيء لها العلماء من كل قطر ، والتراجمة من كل لسان ، تألقت سعود مشرقة فارتفع خامل وازدهر ذابل ، كما خيمت نحوس أليمة فهوت كواكب وافلت نجوم ، وقد يكون لنشأة الطاغية في جيل غادر ماكر اكبر الاثر في توحشه وانقباضه كما ان لهذه النشأة نفسها بعض الذكريات الحلوة التي عطفت به بين الفينة والفينة ، الى الخير والمعروف ، وقد استطاع بعض معاصريه ان يجمعوا المعلومات الكثيرة عن حياته وتصرفه ، ثم عكفوا على دراستها عكوفا فاحصا منقبا ، فتغلغلوا الى أعماقه ، وفهموا بواعث نقمته ، واسباب راحته ، وعلى ضوء هذه الدراسة النفسية الصادقة امكنهم ان يحرزوا اعجابه وتقديره ، فلم ينجو بأنفسهم من عقابه فحسب ، بل أصبحوا موضع حبه واعجابه ، وصاروا أنس مجالسه، وبهجة سمره ، وتلك براعة فائقة تذكر لهؤلاء مقرونة بالحمد والاعجاب !!

وقد عاش مؤرخنا الكبير ابن خلدون في عصر الطاغية الرهيب، وساقته الاقدار الى مناقشته ومحادثته، اذ سار مع الجيش المصري الى دمشق في كوكبة من العلماء ودامت الحرب سجالا بين المصريين والتتار !! حتى شبت بواعث الفتنة في مصر فتقهقر القادة من الجنود ، ووقفت دمشق في مهب العاصفة تنتظر ما تسمعه عن فظائع الطاغية من النسف والتدمير ، ورأى العلماء ان يقوموا بواجبهم في السفارة بين المدينة المضطربة، والفاتح السفاح فتقدم نفر من ذوي الحصافة فيهم يحاولون ان يطفئوا النار المشتعلة بعض الاطفاء وركن كل فقيه الى نفسه يهيء ما عسى ان يقوله ، ويحرص على ان يقدم من العبارة الناعمة والاستعطاف اللين ما يجذب به نفس هذا الفاتح الجريء ، فكلمة عجلى تند من متسرع متشدد في لحظة من لحظات انفعاله كافية للاطاحة برأسه والنقمة على اصحابه وبلدته ، فلا بد اذن من الملاينة الناعمة والتدبير الحصيف !!

خلا ابن خلدون الى نفسه ، فجمع اشتات ذهنه ، واخذ يفحص كل ما تحويه ذاكرته من مواقف تيمور واعماله ، وطفق يتلمس العلل ويستخلص النتائج كمن يتكشف اسرار حصن منيع ، احكم رتاجه وعز مناله ،

فهو يبحث عن اسباب نقمته على اعدائه واسباب نعمته على خلصائه ، ولماذا قدم فلانا وفلانا من العلماء ، ولماذا نكب زيدا وعمرا من الفضلاء !! حتى تكشفت له نفسية الفاتح تكشفا صادقا ، فعرف كيف ينجو بحيلته من وحش كاسر غضوب .

ذكر ابن خلدون في نفسه ان تيمورلنك محب للمدح والثناء ، معظم للصالحين والاولياء ، وقد برقت في ذهنه قصته مع زين الدين ابي بكر الخوافي ولي خراسان وصاحب الكرامات والمكاشفات ! اذ دخل الطاغية خلوته وانحنى على رجله لاثما مقبلا ، فوضع الشيخ يده على ظهره ، ثم رفعها ، فقال تيمور لو لم يرفع الشيخ يده لقضي علي !! فقد تصورت ان السماء تقع على الارض وانا بينهما .. ثم جلس في ادب بين الشيخ وقال : « لماذا لا تأمرون ملوككم بالعدل في الرعية ، فقال الشيخ : أمرناهم فلم يأتمروا ، فسلطناك عليهم » ، ففرح تيمور وقال : ملكت الدنيا ورب الكعبة !!

هذه الحادثة اليسيرة تنبىء عن تعظيم الرجل للاولياء ، وولعه بالمكاشفة واخبار الغيب ، كما تنطق بحبه للمديح والثناء ، فليأخذ منها ابن خلدون طريقا يصل به الى قلب تيمور ، فقد عرف مفتاح شخصيته ولن يلبث ان يجد الدليل الى فؤاده في لحظات !!

كان زي ابن خلدون المغربي ، يختلف عن ازياء قرنائه من علماء مصر والشام ومن ثم فقد كان موضع الانتباه من تيمور ، فأخذ يراقب حركاته ، ويطيل النظر في سحنته وهيئته ، حتى اذا وضعت اطباق الطعام ، واقبل العلماء عليها طفق الطاغية يراقب طريقة كل آكل وحركاته ، وكأنه يأخذ من هيئة التناول والازدراد ادلة ناطقة بالسلوك والاتجاه ، وصورا كاشفة عن الاخلاق والميول ، وهذا حق ، فسلوك الانسان في عمل صغير كهذا ، دليل يفصح عن معدنه وخلاله ، وهو ما تنبه له الفيلسوف المؤرخ ، فكان مثال الادب واللباقة ، فيما يأخذ ويدع من الطعام ، حتى اذا فرغ منه شأنه اقبل على مجلس الفاتح مع اقرانه في وقار هادىء وسمت رزين .

دار الحديث ، فأخذ ابن خلدون بزمامه ، ورأى ان يمهد لقوله بالثناء على تيمور ، والموازنة الراجحة به عن الانداد والامثال ، فقال : « مولاي الامير ، لقد تقلبت بي الايام فشاهدت دولا وملوكا ، وشهدت مشارق الارض ومغاربها ، وحضرت فلانا وفلانا من السلاطين ، وكتبت عن تواريخ الامم الغابرة ما أقام الخبر السالف مقام العيان الراهن ، ولكن لله المنة والحمد ، فقد احياني حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة ، والمسلك شريعة السلطة على الطريقة ، فان كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف ، فطعام مولانا الامير يؤكل لنيل الشرف » .

هذا الاطراء الزائد قد صادف من نفس تيمور اكبر ارتياح ، وطرد عن وجهه سحابة عابسة ليحتل مكانها ائتلاف وانطلاق !! فتشجع ابن خلدون ومضى في سبيله يقول « وان لي الان اربعين سنة اتمنى لقاءك واحلم به في الغدو والرواح حتى ظفرت به اليوم ، فالحمد لله رب العالمين » .

وكان ترجمان المجلس القاضي الداهية عبد الجبار المعتزلي ، فلاحظ كثيرا من العلو في كلام ابن خلدون ، وانتهز جملته الاخيرة ليسأله : « ولماذا كنت تبحث عن الامير منذ اربعين عاما ؟ ومن ادراك به ؟ » فانطلق المؤرخ الماكر يقول : لقد كنا نسمع من متصوفة المغرب ترقبهم لظهور قائد عظيم من امة بادية ، أهل خيام يتغلب على الممالك وتقلب الدول ، وتستولي على اكثر المعمور ، وذلك اذا اجتمع الكوكبان العليان ، زحل والمشتري ، وقد قال لي استاذنا امام المعقولات محمد ابراهيم الايلي ان ذلك قريب ، وستعيش الى ان تراه ، واليوم يتحقق كلام الاستاذ !! » .

ظفر الفيلسوف — اذن — بمحبة الداهية السفاح ، فقد أطراه اولا ، ثم نقل له نبوءة صوفي زاهد ممن يعتقد في مكاشفاتهم ، ثم اكد ذلك بأمر فلكي يحسب له تيمور حسابه ، ويراه صادقا لا يتخلف ، ولولا دهاء ابن خلدون وخبرته الدقيقة بنفسية صاحبه ما بلغ منه هذا المبلغ العظيم ، ونحن نوقن أنه لفق هذه النبوءة تلفيقا لتصادف منزلها الرائع ، فكان له ما اراد من الحظوة والتوفيق .

اندفع الطاغية في سمر مع صاحبه ، واغفل نظراءه من العلماء فسأله في تبسط زائد عن تاريخ حياته وملوك زمانه ، ثم استوضحه كثيرا عن طنجة وبرقة وسلجماسة وتلمسان وغيرهما من بلاد المغرب ، مما يؤكد ان الطاغية كان على شوق لمعرفة احوال هذه البلاد ، فهو يتطلع الى فتحها والاستيلاء عليها مستعينا بما يقطفه عنها من المعلومات والانباء ، لذلك لم يترك ابن خلدون حتى أمره ان يدون في كتاب خاص جميع الاوصاف الخاصة ببلاد المغرب ، واهتبل المؤرخ هذا الطلب فقام به على أحسن وجه يتاح ، وبادر بانجازه في سرعة ادهشت الفاتح !! فأضاف بذلك منة جديدة تدني منزلته ، وتقرب حماه !!

وقد كان تيمور مولعا بمساجلة العلماء ، فهو لا يفتأ يعقد الحلقات ، ويضع الاسئلة ويدير النقاش ، ولم يكن كما قال ابن خلدون — بعد ذلك — عالما بارعا وانما كان يدعي العلم مستعينا بشكيمته وبأسه ، مع ذكاء متيقظ يمكنه من استشفاف اللباب وادارة الحديث كما يريد ، وفي الطغاة من يريدون ان يحرزوا كل مفخرة، وجلساؤهم من العلماء يدركون مبلغهم من الادعاء ، ولا يجرءون على الاعتراف بذلك رهبة وخوفا ، فاذا اجتمع اولو العلم للمناظرة رأيت تطاول الطغاة وادعاءاتهم ، ورأيت مع ذلك من ينكسر لهم من العلماء تقية ورعبا ، ولو زالت الفوارق لسمعت التجهيل الصريح !!

تقدم الى تيمور بعض ابناء العباسيين من طالبي

الاخطل الصغير

شكر الله الجر

* * *

التاج تاجك جن الشعر ام عقلا ... عمن تقلده ــ لا يبتغي بــدلا ؟
تذري الليالي بمن شدوا الى افق ... جاوزته ــ فتركت النجم منذهلا!
ما كل من مد نحو الشمس مروده ... يستنزل النور من اهدابها شعلا
او كل مــن زوق المعنى ونمقـه ... وبهرج اللفظ كان الشاعر الفزلا
فلا يعـد اديبا كـل ذي قلـم ... ولا جوادا كريما كل مــن صهلا
والشاعر الفذ فجـر في تفتحه ... على الحياة ــ لمن في ضوئهاغتسلا
والشاعريــة ان رقـت نسائمها ... تفتق الـورد عــن اكمامه ثملا
صلى الجمال عليهـا فـي هياكلها ... وطأطأ الفـن للالهام وابتهـــلا

الخلافة راجيا ان يعينه على استعادة ميراثه ، فابتسم الطاغية ابتساما مريبا ، وعقد مجلسا من العلماء لمناقشة الدعوى المرفوعة ، ثم أومأ الفاتح الى ابن خلدون ليفصل في الموضوع ؟ فماذا صنع الباقعة الحصيف !!

لقد لجأ الى دراسته الشخصية لميول تيمور ومذهبه، فعرف انه شيعي يكره العباسيين ، واذا جرؤ مفت متسرع على القول بأحقيتهم للخلافة فقد اريــق دمه لساعته ، فانطلق ابن خلدون يعلن ان الحديث القائل بأن الخلافة لبني العباس ما بقيت الدنيا موضوع مكذوب ، واخذ يشرح انتقال الامر لابي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تحوله الى معاوية وابناء اسرته ، ثم انتهــاءه الى بنـي العباس تغلبا وقهرا ، وخلص من ذلك الى رفض الدعوى المعروضة باستعادة الخلافة ، ونحن لا نخطىء المــؤرخ في حكمه ، ولكننا نشير الى براعته في استكناه الغوامض وسبر النفوس !!

كان المؤرخ العظيم يشعر بالقلق في صحبة تيمور ، فهو غادر لا يؤتمن ، وصاحب السلطان كراكب البحــر ان سلم من الغرق لم يسلم من الفرق ، فكيف ينضم الى حاشيته وفيهم من ينفس عليه علمه ، فيقوم بافتــراء كاذب يأتي بالقاضية !! لا بد اذن من النزوح العاجل فلا قرار على زار الاسد ، ولا بد ثانية من الحيلة الماكرة في هذا السفر السريع كيلا تحوم حوله الظنون !! لقد استمع الى مشورة بعض اصدقائه فأشار عليه ان يطرفه ببعض هداياه كما جرت به العادة مع التتار والمغول ، فاختـــار المؤرخ مصحفا مذهبا ، وسجادة انيقة ، ونســـخة من قصيدة البوصيري في مدح الرسول ، واربع علب مــن حلوى مصر الفاخرة ، ثم دخل على الرجــل فـي ادب وخشوع ، وناوله المصحف فوضعه على راسه ، والسجادة فقبلها ، والبردة فسأل عن موضوعها وناظمها ، والحلوى ففرقها على اصحابه واكل منها ، ثم قال ابن خلدون : ايها الامير ان اكبر امنياتي ان اسعد بصحبتك ولكن لـي تاريخا كبيرا بذلت فيه جهد العمر ونور العين وجمعت به الوقائع جميعها ، وقد تركته بمصر وسيضيع بددا ان لم أسارع بانقاذه ، فاذا تفضلت فأمرتني بالذهاب الى مصر لاستحضاره ، والعودة سريعا الى مقامك ، كان ذلك منيــة الدنيــا وسعادة الحياة !!

قال تيمور لك ما تشاء على ان تعود ، فسار ابـن خلدون عنه في فرحة غامرة وبشر عميم !! لقد كشف ابن خلدون في سياسته مع الرجل عن دهاء وسياســة ولو رزق ضحاياه بعض هذه الكياسة لعصموا ارواحهم من الوبال ، فقد استطاع بلباقته الحصيفة ان يحقق كـل مآربه ، كما ادرك ببصيرته النافذة هــول ما سيتعرض اليــه من المآسي الدامية ، ان دامت محبته واتصلت اسبابه بتيمور ، فجنح الى الفرار ، ولم يشأ ان يهجم على الاستئذان دون تمهيد ، فقدم الهدية المناسبة، واختار الوقت المناسب ، وقد كان خاصة العلماء من اصحــاب تيمور يضيقون به ، فرحبوا بابتعاده ، ورجوا تيمور مـع الراجين في سفره، ولم يبد احدهم شكا فينياته فسارت الريح هادئة ، وسلم الزورق من الاعاصير .

الفيوم ــ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

أبا النواعم لم يصدح بها غرد   الا الذي من جراحات الهوى نهلا
يا ساكبا من دموع الكأس من دمه   على قلوب العذارى الحب والاملا
وكاحلا ببريق النجم اعينها   وناسجا من فراشات الضحى حللا
لما أتينك اسرابا على ظمأ   حملت اجرارهن الخمر والعسلا
ما حالهن وقد طار النعي الى   اعشاشهن يذيع الويل والوجلا

غنيت لبنان جنات معطرة   فكنت اطرب من غنى ومن هدلا
ورحت تنشر فوق الشرق اجنحة   للحب لا تعرف الاجناس والنحلا
فجرت شعرك في صحرائه فلذا   حمراء — فانطبعت في خده قبلا
فكنت كالجدول الضحضاح مر بها   اشاع في جانبيها الظل والبللا
فاخضل ما اخضل من اكنافها ومشت   اليك تحمل من صفصافها خصلا

وادي العتيق سرى في جوه نبأ   عن جونا موجع فاهتز واختبلا
قالوا له : (عمر) قد جاء ثانية   الى الوجود ولكن عاد فارتحلا
فاستنفر الطير من اوكارها فهفت   مذعورة وشدت فاستدمعت مقلا
ونتف الشجر العالي ذوائبه   وقصف الحزن من أفنانه الخضلا
وخيم الصمت فوق البيد من جزع   كانما الليل في ارجائها انسدلا

فتى ربيعة عفوا — يوم اخطلنا   اهاج في الشعر جرحا كان مندملا
فتى ربيعة دنيا الحب واحده   سيان عصر اتى ام آخر افلا
اي العصور رما كان الجمال به   يوحي الصبابة والصهباء والفزلا
ذكراك ذكرى الهوى والشعر ما برحت   تستورق الروض جف الفصن ام ذبلا
واها لها طيبات طالما اختلجت   عظام (نعم) لها تحت الثرى جذلا

يا اخطل الارز بل يا نسر قمته   يا لاطما بجناحي دوحه (زحلا)
بني الاوالي لنا من شعرهم هرما   ورحت تبني على اهرامهم جبلا
حسب البراعة في كفيك ما انتفضت   الا لتحطم نيرا او تصد بلا
يراعة الحر عبء فوق كاهله   الد اعدائها الظلام والجهلا
كم من يراع وراء السيف ممتشق   يبني الممالك او يستاصل الدولا
ما هد اعمدة البستيل مدرع   بل هدهن يراع ضيم فاشتعلا

أشحت وجهك عن كون كرهت به   ذئبا يطارد في اجوائه حملا
وقادة يغرقون الارض في لجج   من الدماء — وحقا ديس وانسحلا
ليس المنية لو محصت حكمتها   الا الهروب من الدنيا لمن عقلا
تناقلت نعشك الاكتاف واجمة   كأن لبنان في الواحه انتقلا
تبرج القبر مزهوا بزائره   وكدس الطيب في فوديه واكتحلا
كم في القبور قبور لا يطاولها   مجد القصور ولا مجد العروش على
لن ترتضي (امة السكون) عن حجر   من قبر شاعرها — بالتاج لو بدلا

جبيل — لبنان   شكر الله الجر

ابو العتاهية الفنان الزاهد

ولو انني صدقت الزهد فيها قلبت لاهلها ظهر المجن
« ابو العتاهية »

بقلم ابراهيم سعد الجندي

***

في هذا المقال عن ابي العتاهية اشهر من تفننوا بالزهد في أدبنا العربي قديمه وحديثه ، لا نتتبع من أخبار الرجل الا ما اتصل منها بشعره وكان ذا دلالة على نفسيته واتجاهاته وفنه الشعري بوجه عام .

ولد ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) على اتفاق الروايات بعين التمر ، بليدة بالحجاز قرب المدينة ، ولكن الروايات تختلف بعد هذا في سنة وفاته . فقيل انه توفي سنة ٢١٠ هـ ، وقيل بل توفي سنة ٢١١ هـ ، وفي رواية ثالثة انه توفي سنة ٢١٣ هـ هو وابرهيم الموصلي وابو عمر الشيباني في يوم واحد في خلافة المأمون . ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد . وقد امر ان يكتب على قبره :

أذن حي تسمعي	اسمعي ثم عي وعي
انا رهن بمضجعي	فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة	اسلمتني لمضجعي
كم ترى الحي ثابتا	في ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقى	فخذي منه او دعي

(وعلى هذا ، وعلى فرض انه لم يذكر هذا الرقم « تسعين حجة » على مطلق الكثرة ، الا يجوز ان وفاته كانت سنة مائتين وعشرين او نحوها ؟) .

وكانت الكوفة هي البلد الذي درج فيه ابو العتاهية أوائل صباه يزاول فيها مهنة متواضعة هي صناعة الجرار الخضر يعاونه عليها بعض اهله ويحملها عبد لهم الى الاسواق ليبيعها .

وكان ابو العتاهية نظيفا ابيض اللون اسود الشعر، له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة . وكان الاحداث والمتأدبون يؤمون مصنعه بالكوفة فينشدهم اشعاره ، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها .

ولما رأى ابو العتاهية اقتداره على الشعر ، قدم مع ابرهيم الموصلي الى بغداد ، ثم افترقا ، ونزل هو الحيرة ثم اشتهر ذكره ، وسمع به الخليفة المهدي ، فاستدعاه الى بغداد ، فدخل عليه ابو العتاهية وامتدحه ونال جوائزه . وله أخبار كثيرة مع الهادي والرشيد والمأمون ، وكانوا كلهم معجبين بشعره . وكان ابو العتاهية في مدته مع الرشيد لا يفارقه في سفر ولا حضر . فلما قدم الرشيد من الرقة ، لبس ابو العتاهية الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل .

ولقد استفاضت لابي العتاهية شهرة واسعة في الزهد تركت له ذكرا فيه ، ابعد من ذكر كثير من الزهاد الذين انقطعوا عن الدنيا ولم يتعلقوا منها بكثير ولا قليل . وما اريد ان اناهض ما اشتهر من زهده بقدر ما اريد ان اضع النقط على الحروف ، كما يقال ، واضع الادلة عليها من شعره وبعض اخباره ، حتى تتكشف لنا جهد المستطاع شخصية الرجل واضحة المعالم جلية السمات .. وانها في جوهرها الاصيل لهي شخصية الفنان الذي روعه ان يرى الحياة تتراجع منهزمة في تلاحمها الدائم مع الموت، فحاول ان يمسك بسرها .. اكثر منها شخصية الزاهد الذي لم يروعه الموت لان نفسه ليست شديدة التعلق بالحياة فراح وكأنه يحتضن بجميع وجدانه ذلك السر .

في جميع ما خلفه شعراؤنا المتقدمون من نتاج عبقرياتهم المتنوعة في الشعر ، لا نجد لواحد منهم ديوانا تدور معظم قصائده حول موضوع واحد كما دارت معظم قصائد شاعرنا حول موضوع الزهد ، وتلك لا ريب ميزة لأبي العتاهية تقاس بمقياس التخصص الذي يميل اليه عصرنا حتى في الشعر ، فترتفع بمكانة الرجل عندنا . وتقاس من الناحية الاخرى بمقياس الموضوع ، فتصير بالرجل الى مكانه الحق في مقدمة شعرائنا الفنانين الذين لم يستوحوا غير ضمائرهم الفنية وحدها . فما من شيء غير الضمير الفني يدفع شاعرا الى القول في الزهد والاكثار فيه والافتنان الرائع في تصوير العوامل النفسية والفكرية وابرازها ، واكاد أضيف اليها العوامل الكونية التي تدعو في نظره الى هذا الزهد وتحمل عليه مستحثة وملحة ودائبة ، وهو يدرك في الوقت عينه ان حديث الزهد وما يلحق به من حديث الموت والآخرة ليس من احب الاحاديث دائما الى الناس ان لم يكن اثقلها على نفوسهم فيقول :

مالي رأيت بني الدنيا قد اقتتلوا	كأنما هذه الدنيا لهم عرس
اذا وصفت لهم دنياهم ضحكوا	وان وصفت لهم اخراهم عبسوا

فما هي الشرارة التي الهبت عبقرية الشاعر ودفعته الى اختيار الزهد موضوعا اساسيا لفنه ، وان لم يكن بنفس القوة كما سنرى ، هو الموضوع الاساسي لحياته ؟ .

في اعتقادي ان تلك الشرارة وجدت منطلقها الرحب من ذلك الاحساس الملتهب عند شاعرنا بحتمية الموت على حد قوله :

علمي بأني الذوق الموت نغص لي	طيب الحياة فما تصفو الحياة ليا

ان الرحيل عن الدنيا ليزعجني ان لم يكن رائحا بي كان مفتديا

فالواقع ان قضية الموت التي شغلت اذهان المفكرين والفلاسفة وما زالت تشغلها ، والتي يقتضي الشعور الكامل بأبعادها ان يكون المرء على درجة عليا من التطور الروحي ، وان يكون ذا فكر ممتاز على اتصال مباشر بالينبوع الاصلي للوجود والحياة ..

هذه القضية قد شغلت فكر شاعرنا العربي كما استبدت بمشاعره . فهو يرى الموت محلقا بصورة دائمة ثابتة فوق الحياة فيقول :

كم ترانا يا اخي نبقى على جولان الموت في هذا الافق

بل انه ليرى الموت متصلا بالحياة نفسها ومندمجا في صميم حركاتها فيقول :

كل الجديدين حيث كانا مما تفانت به القرون
وللبلى فيهما دبيب كان تحريكه سكون

ويقول :

واني لاجري الى غاية قد استقبل الموت لي مولدي
وما زلت في طبقات الردى أصعد في مصعد مصعد

ويقول :

ومن النعاة الى ابن آدم نفسه حرك الخطى وطلوع كل هلال

ويقول :

لدفاع دائرة الردى يتضايق الراي الاصيل
فلربما عثر الجواد د، وربما حار الدليل

وانه ليعود حتى بمشاعر الاغتراب والوحشة التي تخامر نفس الانسان في بعض لحظات تململه ، الى احساسه الغامض بصيرورته الحتمية الى الموت فيقول :

ومن ذا عليها ليس مستوحشا بها ومغتربا فيها وان كان ذا اهل
فما تبحث الساعات الا عن البلى وما تنطوي الايام الا على ثكل

وعلى هذا راح الشاعر يعالج تلك القضية ، قضية الموت ، بعقل الفيلسوف وبصيرة الفنان . فنراه اولا يتساءل في هدوء ووقور رائع :

هلا ابادر هذا الموت في مهل هلا ابادره ما دام لي نفس

نعم . لقد أصبح وكأنه لا محيد لشاعرنا منذ الان ، وبعد ان تعمق المشكلة ذلك التعمق الباطن الذي تستحيل معه المعرفة الى معرفة وحياة معا .. اصبح ولا محيد له من ان يبادر هذا الموت الرابض المتربص .. فكيف يبادره ، او ما هي حيلته في مواجهة هذا الامر الرهيب ؟

ما حيلة الموت الا كل صالحة او لا ، فما حيلة فيه لمحتال

ولو لم تكن الحيلة على هذا الوجه دون غيره ، لاحتقر الامر جدا ، امر الموت والحياة جميعا ، ولهان كل شيء . استمع الى نجوى سريرته اذ يقول :

فلو كان هول الموت لا شيء بعده لهان علينا الامر واحتقر الامر
ولكنه حشر ونشر وجنة ونار وما قد يستطيل به الخبر

وهنا نلمس عقدة المسألة كلها على نحو ما عبر عنها أيضا شاعر الانجليز الاشهر شكسبير على لسان بطله هملت اذ نـراه يقول :

ـ « الموت رقاد ، رقاد وقد تكون به احلام ، آها، هذه عقدة المسألة ، من ذا الذي كان يرضى بالبقاء رازح تحت الحمل دائم الانين لولا انه يتقي امرا وراء الحياة ، البلد المجهول الذي لم يستكشفه باحث ولم تتخط تخومه قدم سائح » .

واذن فما اصدق واعظم هذا القسم الذي يطلقه شاعرنا العربي في ختام جولته الاولى مع الموت وما بعد الموت حيث يقول :

أقسم بالله وآياته شهادة ظاهرة باطنة
ما شرف الدنيا بشيء اذا لم يتبعه شرف الاخرة

ومن هنا راح الشاعر الى ختام حياته الطويلة الحافلة ، ولا هم له اعظم من ان يقرع آذان الناس ويهز ضمائرهم بآياته الروائع في الزهد وما يتخللها من تلكم الصور الفاجعة لافاعيل الفناء بدار الفناء ... فهو ان مدح او عاتب او هجا او افتخر او ارسل الشعر في أي عرض من اغراضه ، لا ينسى مهمته الاساسية ابدا .. احضره الرشيد يوما وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا (وكان الرشيد في مجلس من مجالس انسه المشهورة) فقال ابو العتاهية متمهلا :

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد : أحسنت ، ثم ماذا ؟

فقال ابو العتاهية :

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح او البكور

فقال الرشيد : حسن جدا ، ثم ماذا ؟

فاندفع ابو العتاهية يقول :

فاذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

وكان شاعرنا بين ذلك يضطرب فيما يضطرب فيه الناس جميعا من طلب الدنيا ، ما بين متهالك عليها لا يكاد يلتفت الى امر من أمور الاخرة ، الى معتدل في طلبها لا ينسى العمل لاخرته ما عاش ، الى طاو كشحه عن هذه الدنيا ، قانع منها بأقل القليل ، مقبل بجمع وجدانه على بواقي القيم . فأين كان ابو العتاهية خلال هذا المضطرب الواسع ؟ لم يكن قطعا مع المتهالكين على الدنيا المغفلين تماما امر الاخرة . بيد أن المتتبع ، بعد هذا ، لاحوال الرجل وتصرفاته في ذات نفسه واهله ، او مع الناس ، حقيق ان يحار وان تطول به الحيرة ، قبل ان يهتدي الى مكان ابي العتاهية الحق من هذه الدنيا الواسعة او مكان هذه الدنيا الواسعة من قلبه الكبير . استمع اليه يقول :

اني لافتر بالدنيا وارفعها من تحت رجلي احيانا الى راسي
ما استعبد المرء كاستعباد مطمعه ولا تسلى بمثل الصبر والياس

بل استمع اليه يصرح :

اخي قد ابى بخلي وبخلك ان يرى لذي فاقة مني ومنك مواسيا

بلى . لقد تأرجحت حياة ابي العتاهية طويلا بين الطمع واليأس ، ثم لزمته بعد هذا التأرجح الى اخر حياته ، تلك الخلة العجيبة في حياة الزاهد ، خلة البخل الشديد ، حتى أثرت عنه في هذا البـاب نوادر لطيفة يضحك لها الناس امامه ويتفكهون بها دون ان يصيبه منها ادنى تحرج .

فما العلة الحقيقية لهذا البخل المتأصل الذي لم يجد منه فكاكا ولا ازاءه حيلة ، هذا الذي وجد الفكاك والحيلة مع الموت المتربص حين اختار ان يبادره بصالح الاعمـال ؟ ! .

الحق ان رذيلة البخل التي تصدمنا في حياة شاعر الزهد ، يمكن ان ينظر اليها بشيء من التسامح بل بشيء من الرثاء والعطف ، اذا قدر الناظر انها كانت قضاء مسلطا عاجلا كقضاء الموت المنتظر المحتوم ذاته .. فهي التي أماتت حقا في نفس شاعرنا ، قبل موته ، جميع النوازع . وان بقيت هي النزعة الوحيدة التي سيطرت على حياته وطبعتها الى اخر نفس فيها بطابع الحرمان والتقشف . فكثيرا ما شوهد ابو العتاهية وهو لا يأتدم بغير قليل من اللبن في اناء امامه يغمس فيه اللقمة غمسا خفيفا لا يكاد يصيب به من الوعاء شيئا .. حتى اقسم متفكها من شاهده مرة يفعل هذا انه رآه يأتدم حقا ولكن بلا شيء ! وكما كان الرجل يأخذ نفسه بهذا التقشف الشديد ، فقد كان بطبيعة الحال يفرضه على كل من يملك امرهم من أهل وخدم ونحوهم . ولو استطاع لفرضه على سائر النـاس :

حسبك مما تبتغيه القوت   ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا   من اتقى الله رجا وخافا
ان كان لا يغنيك ما يكفيكا   فكل ما في الارض لا يكفيكا

اما حرصه على طلب المال وشراهته احيانا في جمعه ، فقد ورطه ، على ما يظهر لنا من بعض اشعاره ، في مواقف محرجة كان يعود منها وهو ساخط على نفسه ضائق بمطامعه كافر بوفاء الناس . كتب الى بعضهم يقول :

لا جعل الله لي اليك ولا   عندك ما عشت حاجة ابدا
ما جئت في حاجة أسر بها   الا تثاقلت ثم قلت غدا

وأرسل الى آخر يقول :

أراك تراع حين ترى خيالي   فما هذا يروعك من خيالي ؟
لعلك خائف مني سؤالي   ألا فلك الامان من السؤال
كفيتك ان حالك لم تحل بي   لاطلب مثلها بدلا بحالي
وان اليسر مثل العسر عندي   بأيهما منيت ، فلا أبالي

وصدق ابو العتاهية فيما يقرره بعد هذا او قبله ، عن تجربة ، اذ يقول :

ان المطامع ما علمت مزلة   للطامعين ، واين من لا يطمع
كل امرىء متفرد بخلاله   ليس امرؤ الا على ما يطبع

ثم ما أعذبها في نهاية المطاف (رقية البخل) في بيتيه الدقيقين :

ارقيك ارقيك باسم الله ارقيكا   من بخل نفسك على الله يشفيكا
ما سلم كفك الا من يناولها   ولا عدوك الا من يرجيكا

ولا شك أن أبا العتاهية كان على دماثة خلقه ورقة شمائله ، يلقى من مكائد اللئام وشغب المشاغبين ، بسبب تعرضه لطلب الدنيا ، ما جعله يصفهم لنا في الكثير من مقطوعاته الشعرية ، ولا سيما في المقطوعة التالية ، وصفا بارعا لا نكاد نقع على مثله بين سائر ما وصف به أصحاب الطبائع الملتوية هؤلاء ، في شعر الشعراء او تحليل المحللين :

من أمكن الشك من عزيمته   لم يزل الرأي منه يضطرب
من لزم الحقد لم يزل كمدا   تفرقها في بحورها الكرب
اني رأيت الشريف معترفا   مصطبرا للحقوق اذ تجب
وقد رأيت اللئام ليس لهم   عهد ولا خلة ولا حسب
احذر عليك اللئام انهم   ليس يبالون منك ما ركبوا
فنصف خلق اللئام مذ خلقوا   ذل ذليل ونصفهم شغب
فرض اللؤم واللئام ولا   تدن اليهم فانهم جرب

والزهديات هي موضوع ابي العتاهية الرئيسي ، وهي عماد فنه الشعري ، وهي مجال تفوقه في هذا الفن . فهو في العربية شاعر الزهد بلا مراء ... وكما أسلفنا ، كان زهد ابي العتاهية هو الاثر المباشر لاحساسه الملتهب بحتمية الموت .. ولكنه كان في الوقت عينه ينجم عن احساسه العنيف بسخف الحياة وعبثيتها اذا تجردت من كل غاية تعلو عليها وترتفع بمشاعر اهلها الى آفاق ارحب وأسمى وأبقى .

ومن هنا كانت الزهديات تذكيرا دائما بالموت ، وكانت بنفس الدرجة تنديدا دائما ايضا باستنامة الانسان الى اباطيل الحياة واغتراره بزخرفها وغفلته عن الغاية التي خلق من اجلها :

لامر ما خلقت فما الغرور   لامر ما تحث بك الشهور
الست ترى الخطوب لها رواح   عليك بصرفها ولها بكور ؟
لبغي الناس بينهم دبيب   تضايق عن وساوسه الصدور
اعيذك ان تسر بعيش دار   قليلا ما يدوم لها سرور
الا ان اليقين عليه نور   وان الشك ليس عليه نور

فالزهديات اذن ليست دعوة سلبية ، بل هي في صميمها دعوة ايجابية ، قوامها أطراح الاحقاد والشرور ، والسير في الحياة على منهاجها القويم من الرفق والتسامح والمحبة .

ان ابا العتاهية ليكره للحياة الفراغ والعبث ، ويحب لها ان تكون مليئة بالفضائل العالية والاعمال الجليلة .

وقارىء الزهديات يجدها مفعمة بالنظرات الحكيمة والاراء السديدة والتأملات الخصبة في شعر هو الشعر سلاسة ووضوحا وعذوبة ، تأخذ بالالباب وتستأثر بمجامع القلوب .

طنطا ـ ج. ع. م.   **ابراهيم سعد الجندي**

الموت والمدينة

مجاهد عبد المنعم مجاهد

•

•

القاهرة

أريد أن اموت في المدينه
بلا بطاقة ، بلا عنوان
فلا يهمني اذا عرفتم بأنني فلان
دعوا على الطريق جثتي
وان تقززت نفوسكم غطوا به نفايتي
وامشوا بجانب الجدران
وانسوا المناظر الحزينه

يا ويحه الذي يموت في المدينه !
حقا بجانبي على السرير زوجتي
وبيننا ابنتي
لكنني أحس انني وحيد
عشت الحياة مفردا ، ومفردا اموت
هذا الوجود لم أشأ
لذا أحس انني الصدأ
يأتي بلا ارادة على الحديد
اذا فرحت مرة أحس فرحتي بغير عيد
وان تحدث الصديق
أراه غير انني بعيد
ترى يهم ان اتى المطر
ليقتل الحريق في الشجر
ومصرع الحريق يبصم السواد في الخشب ؟!
فكيف للسواد ان يحب
لذا قتلت كل مرفأ فلا تعود بي سفينه

أريد ان اتوه في قاعة حزينه
ولا اريد ان اموت في القرى
هناك يعرفون انني فلان
بلا بطاقة بلا عنوان
وانني من طينة المكان
انا ابن طينتي انا الغضب
وضعت في ملامحي الثلوج منظرا
وتحته اللهب
فلا أريد ان اموت في القرى
أريد ان اكون ساعة الوداع دون حب
فان تضاءل الشعاع
أريد ان اكون كالغريب ساعة الوداع
شاني انا مع الحياه.
ومنتهى سعادة الغريب .. منتهاه
بأن يموت ها هنا في زحمة المدينة !!

لاول مرة فوجئت زوجته بقرار لم تتعود مثل حدته من قبل ، فمنذ ان ولج الباب بدا عليه اعياء وخمود في الحركة كصيف ماتت افراحه واعراسه ، طلب منها في نبرة متواصلة لا تمسها ريبة ان تكف عن مداعبة الاطفال امامه ، والا تسأل احدا عن اسمه واسم بلده ، وجده ، كما تعودت كثيرا أن تفعل ذلك في ابتسامة تفوق تفتح حزمة من النرجس ، علها تكسب اطفالها استحسان زوجها بهم كما هي عادتها فيأخذ اذ ذاك بتوزيع الهدايا المختفية في ثنايا جيوبه ، كأنها اسرار عتيقة لا تتبدى الا بموقف تعجبه وتحرك في اعماقه السلوى والصفاء .

كانت كعادتها تنسل في خفة ، كما يحاول لص ان يتخطى المكان دون ان يحدث نأمة ، وما ان يحتضنها بطن المطبخ ، حتى تأخذ في تجهيز كأس من الليمون ، تؤكد له ان امها قد علمتها ان مثل ذلك العصير يخفف من حدة الاعصاب ويسكن ضجيج الدماء في الجسد .

ولف المكان هدوء كهدوء الراس المتوج بعصفور صفير ، حتى انه سمع الملعقة تتحرك في اعماق الكوب الماثل بين يدي زوجته .. واحس ان داخله يحكي .. « مسكينة هذه المرأة .. ان ليمون العالم كله لا يستطيع ان يهدأ اعصابه ، تماما كنملة ضعيفة لا تستطيع ان توقف سير قطار .. وشعر طفرة واحدة ان اخلاصا كهذا كاف ان يحقق معجزة .. ان ضخامة اخلاصها توازيه نذالة نفسه ، ماذا قدم لوطن جرد منه دون ان يفعل بعد شيئا من اجله ، ان كأس الليمون ذلك في اعتقاده الاخير .. افضل منه ومن ثرثراته وضحكاته الطويلة كخرطوم الفيل ، انه لا ينكر على نفسه الاحاديث الطويلة العريضة التي يلقيها في المسامع عن قداسة الارض

لكن ، أين هو من واقع العمل في لحظاته تلك .. هذا الذي يملك حبا كبيرا لبني جلدته ، لا يستطيع ان يفعل شيئا الان اكثر من ان يقرأ أحاديث الصحف ، ويقلب الصفحات ليشاهد الاجسام المشوية بالنار ، مات النور في عيونها كما تموت الشمس فوق السحب ، آه ... لو يملك اجنحة النور ، اللحظة هذه ، لو تفرس اجنحتها في بطن الافق الممتد لترحل به بعيدا الى هناك حيث تتجه الريح نحو غربه فقط ، الذي غرسه مع رفاقه بأغانيهم الصيفية الهادئة ، وغذته جموع الفلاحين والحصادين بأحاديثهم



مهداة الى صبحي شحروري وقلبه الملتهب في حقول بلعا وجبالها

بقلم حكم بلعاوي

النشيطة .. ليس مهما عنده انهم لم يعلموه حمل السلاح ذات يوم ، فباظافره يستطيع ان يحفر خندقا ، وهو لا ينسى انه يجيد صناعة كلام يشابه زغاريد النسوة المتسلقات على سطوح المنازل يغنين ويلهبن الحماس في مآقي الرجال الغاضبين .

كل ذلك واكثر منه مر في خاطره وهو ما زال واقفا في مكانه .... تشمله غضبة كبيرة .. صورت له



كل الاشياء تافهة .. حتى نفسه التي التهمت جميع ما في هذه الكتب المتراصة امامه فوق طاولته المألوفة لديه وعلى رفوف قريبة منها ، اراد ان يكون شيئا عظيما عظمة بلاده .. متحركا كفراشات لا ينساها ابدا في حقول قريته وعلى ازهارها .. صدى عميقا كصدى العاملين على قمم الجبال في ارضه .. انه لن ينسى قط صورة الابطال الذين احتواهم ثرى وطنه دفاعا عن ثقائه .. عربي .. له رائحة امجاد متعاقبة على مر العصور . كل هذا يدركه تماما .. وتهتز نفسه تيها معه ، كليلة عرس طويلة .. انه يحسه اكثر من اي وقت بأن جلده لا يستطيع ان يقاوم ثورة دمه ، كشلال عنيد تنصب مياهه في شبه انتقام من الارض ، ليس هناك من زاوية معينة تستطيع ان تسرق من عينيه الغضب ، كل الاتجاهات في نظره مخروقة كغربال كبير .. عيناه تخترقان العالم كله في لحظة ، فلا يبصر غير ارتجاف الامكنة كجرو مقرور فقد امه في ليلة عاصفة ينبح ليملأ افاقا غير مرئية .

قابل اشخاصا كثيرين على طول سيره لم يألف منهم لحظة انتباه ، انه يعرفهم جميعا ، لكنه كان يقدر سريعا انهم سلخوا مثله عن مركز الحياة .. كان لهم ارض وعلى اديمها ازاهير الشفاه المحبة ، هكذا اضحى سيلا جارفا من الانفلات ، لا يستطيع ان يضبط حركة واحدة من حركاته .. كؤوس الخمر كلها لا تستطيع ان تنال منه اكثر مما نالته هذه الضربة على مركز ذاته .

كان كلما انتشى بلحظة انتصار في مسيرة ايامه يجلس وقتا قصيرا وهو يطلق صفيرا جميل النغم من بين شفتين مليئتين بالحياة ... ان مغنيا ماهرا يستطيع ان يترجم صفيره الى حكايات رائعة عن صبايا مرج

بني عامر .. وعن لوحات جبال عكا السندسية لكنه الان فقط يكاد يتمزق وهو يسمع قرارا متكررا يسلخه عن المكان المتبقي في حياته .. ممتدا من « جنين » ذلك الموقع الذي طرزه فلاحو بلده بأجمل الاناشيد الى نهر الاردن الذي امتزجت مياهه بأنفاسه وانفاس الاخرين فباتت وفاء كبيرا ، انه لا يحتاج الى احد كي يؤكد له ما وقع، فرغم انه امعن كثيرا امام الرفاق في مجادلات الانكار التي تشب في دماغه محاولا ان يقنعهم بأن شيئا من هذا لن يحدث ، حتى انباء الاثير السريعة بصق عليها غاضبا واثقا من انه سيطوف جميع الامكنة والازقة والوهاد التي يألفها بنفسه كما هي عادته كل صيف ، يسهر معظم الليالي متنقلا من عرس الى اخر ليشارك حلقات الدبكة الريفية .. ويخرج قبلان تبدو عين الشمس ليمتص انبثاق الفجر في ارضه على مهل .. رغم ذلك كله فان يده المقرورة لم تخرج من جيبه طيلة وقفته الفضبى .. حين اختفت زوجته مصممة في نفسها ان تهدىء روعه بكأس الليمون البارد النظيف، يده تلك ما زالت في مكانها تضغط على شيء يتلوى كأفعى مسعورة حمقاء ، ورقة صغيرة في اعماق جيبه يحسها متحولة الى ابر تخز عروق اصابعه المنتفضة ، الدفء ميت في جسمه تماما وموجة اهتزاز عنيفة تجتاحه عظما ودما ، يزيده اضطرابا صوت طفليه الصغيرين يرددان رغم عبوس الجو في ثنايا المكان بلثغتهما المحببة المعروفة لديه « وذني يا وذني المهبوب » ويكاد مع ذلك النداء يقفز لينهر زوجته بأن تسكتهما دون ابطاء .. انهما من حيث لا تعلم يصبان سيلا من الاستهتار بشجاعته التي طالما اثبتها لزوجته في كثير من الاحاديث والمواقف وهو لحظته تلك ينثني على نفسه كربيع ميت النغم ، هذا « وذن » طفليه .... وطنهما الكامل تلوكه السنة النيران وتبخر افياء زيتونه ورمانه وهو الان لا يستطيع ان يقول شيئا او ان يكابر في وجه زوجته .. لن يقول لها ذلك امر لم يقع ، وعليها ان تصدق كل ما سمعته من انباء الهواء فالورقة التي في جيبه حكت له الرواية المقيتة ، انها رسالة من والده الذي حمل ثمانين عاما على كتفه باعتزاز ، لم تستطع الحياة ان توقف حركته او ان تضعف بريق عينيه ، ما زال يقبع في الدائرة الكبيرة من اعتقاده ، قوى الارض كلها لن تبعده عن فجره ، ذاك الرجل في المكان المعطاء اما هو فليس عليه الا ان يلوك الدخان بين اسنانه ، ويتقلب على فراشه مسروق الجفن، عيناه هكذا جاحظتان ونزق وحشي يفترسهما .

وقبل ان يحاول ان يقرأ شيئا في عيني زوجته افرغ الكأس التي تحملها في يدها دفعة واحدة في حلقه بسخرية باردة ، واخرج الرسالة من جيبه وبسطها امامها قائلا « هذا كل ما في الامر » .

كانت عيناه تسبقان اصبعها المتنقل على الكلمات وما ان اتمتها حتى هزها طالبا منها ان تسمعه الكلمات الف مرة واتكأ بيديه على طرف الطاولة وفمه مفتوح مصغيا دون ان يلتفت ..

« ولدي سليم ...

ستضع امك هذه الرسالة لك في صندوق البريد بعد ان اخرجتها واختيك ، قد تغضب لان الارض للجميع لكنك تعرف معنى العرض والعار .. سأظل باقيا هنا آكل عشب الارض ، يجب ان تعلم انني احمل ثمانين عاما من النشاط ، وعليك ان تعتبرني في طليعة الثوار الذين يحبون ظلال اشجارهم .

بانتظارك ومثلي آباء كثيرون هنا بانتظار ابنائهم وان بكيت فلتكن دموع عينيك السوداوين فرحة اللقيا . والدك : عمر .

« اعيديها .. ثانية ، فانا مصغ تماما » ، قال ذلك لها بعد ان سحب جرعة كبيرة من الدخان غطت كل الاشياء من حوله حتى لون شعرها ، وبانت اسنانه خلفها مصطكة ... وشعر ان زوجته لا تفعل شيئا حين صحا اثر لحظات من الصمت ، غير انها رفعت راسها ودمعات في مآقيها لم تجرؤ على السقوط ... فتمالكت نفسها قائلة « اذن لقد حدث الامر .. عمي وحده في البيت .. ما احب مرحه الى قلبي» ورست كلماتها المتقطعة كسفينة محملة بالحكايا الطويلة على شطئان قلبه الذي كاد يحسه قافزا من بين ضلوعه .. اما هي فقد ابدت اهتماما سريعا لمرآه وقد جف ريقه سائلة : ما بك يا سليم .؟. كلمني .. سليم .. كلمني .. لقد خيل اليها دون شك انه لم يعد يتحرك في هيئته الشاردة الجامدة .. غير انه سرعان ما انتفض .. تصورني قائلا .. بدون شك ستسمعين ماذا افعل ، سوف تسهرين الليل كله وانت تطبعين قبل الانتصار على جبين طفلينا ..

ولم تشأ ان تتركه .. لقد خيل اليها ان عصير الليمون الذي جرعته اياه لم يسكن ثائرته .. ولم يبق لديها شيء تصنعه ، انها مبهوتة في شبه اندفاع .. لقد طاف في مخيلتها سريعا وهي تسرح عينيها في ارجاء المكان صورة لزوجها الذي يقف هذه اللحظة امامها ... هاربا طيلة اوقاته الى زاوية من البيت يدفن نفسه بين اوراق كثيرة لا يخرج من بينها الا ويهمس في اذنها « علينا ان نتعب كثيرا كي نخدم الوطن » .. وكيف انه كان يحدثها عن انتصارات كثيرة حققها اناس اخرون عبر الحياة بايمانهم

تراتيل

لي من اغاني الهوى ما ليس يندثر ... الحور تشهد لي واللحن والوتر
أزفها صلوات من فمي ويدي ... حتى يكاد عليها الفجر ينصهر
والليل ينقل عني كل شاردة ... وكل رائعة تروى وتدخر
كم خبأتها العذارى في اضالعها ... وقبلتها فكان الطرس يستعر
يا من تسائل عن شعري وعن ادبي ... ان الهزار المغنى عنده الخبر
سل الربيع فكم في روضه صدحت ... قيثارتي وشفاه الزهر تزدهر
وكم زهور اذا غنيتها رقدت ... على يدي ففشاها الطل والمطر
أهيم للشعر في واد ورابية ... ينتابني كلما يممتها خدر
كأنها معبد تندى جوانبه ... بمجمر لبخور نفحها عطر
انا الغريب بأرضي ليس يعرفني ... الا الذين بأحلام الرؤى شعروا
ارتاد كل الشواطي حالما جذلا ... وفي سرائري الاحلام والفكر
واستلذ بأشعاري اردّدها ... وحدي فيسكر من ترديدها السحر
فيحسب البحر اني ساحر قلق ... مع العشيات فوق السفح ينحدر
يردد الهمهمات المبهمات بلا ... وعي ويهذي بما لا تبتغي البشر
ونجمة الصبح ترنو لي متمتمة ... حيرى الخيال ومن بعدي بها ضجر
فأعجب لمن ليس تدري الناس قصته ... وعنهم وحده يدري ويستتر !!

البحرين ... احمد محمد الخليفة

الكبير .. حتى انها تنازلت عن اشياء كثيرة لتعيش فريدة على حد اعتباراته .

وفي لحظتها تلك عن لها ان تخفف من وطأة انفعاله .. فاقتربت منه تمرر يديها الناعمتين على يده .. وهمست « الا تريد ان تكتب لعمي رسالة » .. كانت نظراته تصفو شيئا فشيئا غير انه لم يقدم جوابا لزوجته التي كانت تنظر الى طفليها وكأنهما اجبرا على احترام الموقف .. فظهرا صامتين مذهولين يحاولان ان يزرعا مرحهما في المكان .. وما ان يفشلا حتى يحاولا تقليد حركات زوجها .. في كثير من الحيرة .. بينما تعلقت هي بأهدابه تحاول ان تستشعر راحته وما هي الا لحظات حتى انتبهت اليه سائلا اياها ان تعطيه رسالة والده .. اخذها في يد خف ارتجافها قليلا .. وتعلقت عيناه في سطورها ... كانت كلماتها تبدو لها وكأنها براكين غاضبة لا يستطيع معها ان يتخيل سوى صورة واحدة متكررة تشير حركاتها الى ايدي كثيرة تزرع في طرقات العدو الغاما شديدة وتكحل عيونهم بألوان الرعب والهلع .. وفي كل زاوية شبح والده ، لا تحد وعورة الجبال من سيره ، تماما كما يفعل الثوار الاخرون .. وفي الجانب الاخر صورة امه واختيه ، تعمرهن نشوة كبيرة رغم العراء البارد يلتقطن اخبار الرجل الكبير ومعه رفاق كثيرون يبذرون غضبهم في كل اتجاه .

تنفس طويلا كمن اراد ان يواصل موقفه من الحركة .. ولف الرسالة وضغط عليها في جيبه كأنها شرارة دفء .. بينما كان لسانه يبعثر الالفاظ من حوله « لن اكتب ردا على رسالته ، لم يعد جوابي غير دمائي التي تتلهف الى عناقه .. وعناق ارضي الى الابد .. »

اما زوجته فقد اجتاحتها موجة من الحماس نثرته قبلات متكررة على جبين طفليها .. وهي تحاول ان تسأل كل واحد منهما عن اسمه واسم بلده وجده .. بينما كان ارتياح مشرق مستمد من قراره يلمع في عينيه وهو يبصر بهما .. طفليه يرقصان ويطلقان بلثغتهما المحببة ، ذلك المقطع من نشيد الوطن المحبوب ..

الرياض ... حكم بلعاوي

في بلاغة التضمين والتلميح

بقلم عدنان بن ذريل

* * *



موضوع (صور الاسلوب) وصلتها بالنفس والتفنن الادبي النثري والشعري ، يؤكد اليوم ضرورة العناية بالتمثل الحديث للبلاغة العربية ، ووصلها بالنفس والحياة والتفنن الادبي .. ولا بد من الاعتراف ان عجلة الزمان لا تعود الى الوراء ، وان مجتمعنا الذي تطور فطور فننا القولي ، واساليبنا النثرية والشعرية هو نفسه الذي طور بلاغتنا ونقدنا الحديثين ..

وان تمثلنا اليوم بحث اي موضوع بلاغي صار الى تمثل بحث نفسي اسلوبي تحليلي وادبي ، في الاساس .. وان تمثلنا بحث اي صورة من (صور الاسلوب) اليوم ، التشبيه الاستعارة الكناية ، او ايضا الرمز والصور الرمزية ، التضمين والتلميح وغيرها ، هو تمثل بحث نفسي اسلوبي تحليلي ادبي في الاساس ..

ان مرد هذه (الصور الاسلوبية) هو النشاط الانساني النفسي الفني الادبي (١) ، فبعضها يرجع الى التفكير او الوجدان ، وبعضها الاخر يفسره التعبير وتصريف القول ، وهي نوعية ان صح التعبير ، يتميز بعضها عن بعض تميزا ظاهرا ، بحيث لا يمكن ان نقول في صورة فكرية انها صورة وجدانية ، او انها صورة تعبير ، فالتعجب غير التشبيه ، والاستعارة غير الرمز ، والتضمين متميز عن كل من التشبيه والرمز .. وهكذا دواليك ..

وان بحث (بلاغة التضمين) في الشعر الحديث ، والذي انجز فيه عدة مقالات (٢) يؤكد تميز التضمين كصورة اسلوبية عن غيره من صور الاسلوب تقترن عادة به ، مثل التشبيه او الاستعارة او الرمز ..

وبالفعل ما اكثر ما نقرأ اليوم للنقاد ، وما اكثر ما نسمع للشعراء المحدثين انفسهم احاديث عن الاساليب الشعرية الحديثة ، وعن النتاج الشعري الحديث ، يتشكون منها انها يلتقى فيها التشبيه والاستعارة ، بالرمز والتضمين والتلميح ، واحيانا المثل والسرد .. بل كم نشكى النقاد اليوم ، وتشكى الشعراء المحدثون انفسهم من ان موجة الشعر الحديث أتت بكثير من الغث المزيف ، المليء بالبهرج ، والمليء ايضا بالتعقيد (٣) ..

وفي نظرنا لا منقذ لنا ، وللنقد الحديث ، وللشعر الحديث نفسه اليوم في موضوع البهرج ، او التعقيد في اساليب الشعراء المحدثين ، الا الرجوع الى بلاغتنا القديمة ومعاييرها ومصطلحاتها ، من أجل الاستناد اليها في تدعيم بلاغة حديثة ونقد حديث (٤) ، وهو ما فعلناه في دراسة صور الاسلوب ، وما نفعله في دراسة بلاغة التضمين ..

ان موضوعا محدثا مثل (بلاغة التضمين) في الشعر الحديث بالفعل هو نفسه تطلب منا الرجوع الى معاييرنا ومصطلحاتنا البلاغية ، فأنسنا بها الى الجديد المستحدث ، وتدعيمه التدعيم العلمي الفني الادبي .. ذلك ان (التضمين) الذي غمر بأنواعه الشعر الحديث ، وطغى على افئدة الشعراء واخيلتهم هو اكثر الموضوعات البلاغية والنقدية محاذير بهرج وتعقيد ، لانه اكثرها تعرضا لمزج التشبيه والرمز ، بالتضمين والتلميح ..

ولا بد من التنبيه بالفعل الى ان (التضمين) ، بفعل انتشاره اليوم ، واستهوائه الشعراء المحدثين صار الى اسلوب من دارج الزي الشعري ، اكثر من كونه ظل صورة اسلوبية تخدم مقاصد التعبير .. اي بعبارة اخرى ، التضمين اليوم صار الى طريقة لتفكير الشاعر وشعوره وتعبيره ، اكثر من كونه ظل تركيبا ادبيا للتعبير عن تجربة ادبية .. ومن هنا خطورته ، وضرورة ضبطه بلاغيا ، لان الشيء اذا صار زيا ، بل هوسا متسلطا تحمل بالفعل كل سقطات النفوس في تعابيرها ، وفي ذلك اليوم حقا تفسير السفسفة التي نجدها في الشعر الحديث في غالبيته ..

يحدثك الشعراء المحدثون اليوم عن آتوم ، وأوزيريس ، وحدد ، وعشتار ، او عن شهريار ، وشهرزاد ، والعبد ، وسندباد ، او عن زنوبيا ، وكليوباترة ، وانطونيو ، ونيرون ، وامرىء القيس ، او عن التتار ، والمغول ، والانكشاريين ، او عن سومر ، وبابل ، وطيبة ، والاندلس .. وهكذا دواليك .. ولكن كم من الشعراء الذين يأتون بمثل هذا الحديث الشعري ، من يستحوذ على التقدير والاعجاب ، وكم منهم من تستحق كتاباته الخلود والدراسة ؟! . حقا ما اكثر الغث المعقد ، بل الركيك المهلهل في هذا الشعر الحديث في التضمين ! ..

ولنذكر في الاساس ، أن (شخصية) الشاعر اليوم ، ملكاته الشعرية وثقافته ، هي التي تتدخل في تحديد اسلوبه في قوله الشعري في التضمين ، وليس الاتجاه التقريري لحادث قديم وقع ، في أحاديث الشاعر اليوم مثل الاتجاه الايحائي الرمزي والنفسي .. الاتجاه الثاني حقا اكثر رونقا ، واكثر تأثيرا في المستمع والقارىء ، اذ يحرك فيهما الخيال والوجدان وايضا الفكر ، ولكنه كثير المحاذير في احتمال الابتذال ، والبهرج ، والتعقيد على السواء ، والمسألة ترجع من جديد الى صلاحية الشعر الحديث واساليبه الحديثة للخلود والحياة ، ومقدرة الشاعر الواحد على التعبير عن مكنون نفسه وتجربته ..

والشكر لله ان هدتنا دراساتنا الى معاييرنا ، ومصطلحاتنا البلاغية العربية القديمة ، فاحييناها وانسنا لها ، وجددناها وطورناها .. فوصلنا بالتالي الادب الحديث ، والشعر الحديث بالحياة والنفس بالمجتمع والانسان ، وذلك في دراسة الاسلوب والجمل والالفاظ.

وقد اوضحنا ان استعمال (اسماء الاعلام) على اختلافها ليس بالضرورة تضمينا .. وانما يشترط للتضمين ، والذي يسمى (التلميح) ان يحوي على عنصر سردي لحادث قديم ، وقع لهذا العلم او ذاك ، وبالتالي بناء جمل مفيدة في ذلك ، في إتجاه اسلوبي عادي او رمزي ..

ونتابع اليوم الحديث في بلاغة التضمين ، بأظهار بلاغة الاضافة في استعمال اسماء الاعلام في التضمين ، وبلاغة استعمال الافعال الدالة على حدث وقع فيه ..

(الاضافة) في استعمال اسماء الاعلام في التضمين بنوعيها : اي في حالة كون اسماء الاعلام هي المضاف ، وعنصر من عناصر السرد عن هذه الاعلام هو المضاف اليه، مثل (شهرزاد الحكايا) ، او في حالة كونها هي المضاف الى هذا العنصر ، او ذاك من عناصر السرد المعهود عنها ، مثل (حكايا شهرزاد) ، هي عامل تصعيد ايحائي الى اجواء النفس ، والرمز النفسي والانساني ..

ان (الاضافة) بنوعيها في هذا الاستعمال تحد من العمومية التلقينية التي تحوي عليها عادة اسماء الاعلام ، من أجل ان تكسبها اتجاها معينا لمسار نفسي انساني ، في الاسلوب الشعري للشاعر الواحد ، او القصيدة الواحدة ، او ايضا المقطع الشعري الواحد .. ولذلك كانت (الاضافة) ، بنوعيها في استعمال اسماء الاعلام (عامل رفع) للعلمية ، وبالتالي للتقريرية ، وايضا التاريخية ، في اتجاه استلهام الصفة الانسانية التي لعناصر السرد عن هذا العلم او ذاك ..

فمثلا عندما اقول : حكايا شهرزاد ، او اسفار سندباد ، او ايضا تتار الفتوح ، او اندلس الاحلام ... أكون بالفعل اكسبت هذه الاعلام اتجاها نفسيا شعريا ، يولد مسارا تلقينيا ايحائيا ، يمكن التأثير بواسطته ..

ولكن اين التضمين في هذه الاضافات ؟!. وما نوعه فيها ؟! .

في الحقيقة يجب ان نفرق بين التنويه بعنصر من عناصر فعال او خصال علم من الاعلام ، عند استعمالنا اسمه وبين (التلميح) الواضح المقل الى حدث معين جرى له .. ان الاضافة بنوعيها في هذا الاستعمال ان كانت تنوه ، لا تلمح ، لانها لا تزال غير مقيدة ، ولا تزال شيئا غير السرد للحدث ..

وفرضا كان التنويه مركزا ويلخص حدثا او صفة ، لدرجة ان عنصرا من هذه العناصر يمكن ان يكون رمزا ، مثل : خنجر شهريار ، حرائق نيرون ، او صواعق حدد ، وتابوت أوزيريس ، على ما لتقريريته من قيمة ، فان الاضافة في هذا التنويه ما تزال تفتقر الى تحديد ، بل الى توضيح ، افتقارها الى الاسلوب القوي المعبر ، والذي مهما كان قويا ، معبرا لا يستطيع ان يقف في وجه المسار النفسي التلقيني الذي يرفع (العلمية) عن الاضافة ليدخلها في زمرة الادب التلقيني ، الايحائي والرمزي (٥).

الا ان التلقين غير التقرير ، والرمز غير التلميح .. والواجب هو ابراز كل صورة اسلوبية بنوعيتها ، الواجب هو ابراز (التضمين) ، وخاصة التلميح فيه ، كصورة اسلوب ، بنوعيته كما قلنا ، وتمييزه بالتالي عن التشبيه او الاستعارة ، او الصور الرمزية ، في أساليب الشعر الحديث ، اليوم العادية ، او التلقينية او الرمزية.

يقول الشاعر خليل خوري :

رايته يحتضر
وكان سيف الخضر فوق راسه ، وقربه ملاك
وعندما اسرجت الشمس له الجواد
اسرى به الخضر الى هناك ..

الاضافة في (سيف الخضر) مجرد رؤيا شعرية ، ترمز الى الحق المقدر ، والتقوى الكائنة ، والاضافة معلقة حقا ، وتوحي بذلك ، بدليل احتفاء الخضر بالمحتضر ، والاسراء به لوفاته .. ولكن لا تضمين في هذا القول ، ولا تضمين ايضا في الاضافة ..

يقول الشاعر ادونيس :

من يعطيني ورقة أحملها اكداسا من البخوروالصندل
انقطها كالعروس ، واجلوها ،
اقرأ عليها سورة مريم ،
أهز فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وارسلها الى احبابي
مليئة كالتفاحة
خفيفة وخضراء كمهرة الخضر ..

الاضافة في (مهرة الخضر) صورة حسية في

---

(١) ـ راجع عدد فبراير ١٩٦٩ من « الاديب » الفراء ، والمراجع التي يحيل اليها .. (٢) ـ راجع في العدد المذكور اعداد « الاديب » في عامي ٩٦٧ و ٩٦٨ التي نشرت فيها . (٣) هذه الشكاوي متكررة ، ونرجو ان يتسع المجال ، والوقت لدراستها بلاغيا ، ونقديا على حدة . (٤) ـ وفي رأينا كما سبقت الاشارة الى ذلك في مقالات سابقة ، ان « النقد الحديث » نفسه ، من مصلحته ، وخيره ان يظل يستند الى البلاغة المتجددة ابدا بأمانة واصالة .. (٥) ـ من شروط قيام (الرمز) ، كما سبق تقرير ذلك وتوضيحه ، ذكر الصورة الحسية التي نرمز بها الى المعنوي ، ولذلك كانت (الاضافة) ـ في احوال ذكر الموضوعات الحسية المتعلقة بالسرد لحدث وقع ـ طريقا مباشرة الى الرمز ، والرمزية .. (٦) ـ مجلة « المعرفة » الدمشقية ، عدد ايار ، مايو ، ١٩٦٨ . (٧) ـ وسنعالج ان شاء الله في عدد قادم ، الموضوع الواسع ، وهو التمييز بين التشبيه ، والاستعارة ، والرمز ، وبين التلميح ، او التضمين السردي ، وهو أحد انواع التضمين المنتشرة اليوم ..

الاساس تحمل ايحاءات عدة .. الاضافة رزينة وجميلة. ولكنها تلبي في الاسلوب متطلب التشبيه ، والذي يستلهم بالاحرى من تقريريته ايحاءات الخصال والفعال التـي للخضر ، وذلك يؤكد وصف الرسالة الى الحبيب بالخفة والاخضرار ، في التجاوب معه او الامل بسبيله ..

يقول الشاعر علي الجندي :

وانا ، هـا أنني أقعد مقهورا ..
فلم أثأر لاصحابي ،
من غزو التتار ...

الاضافة في (غزو التتار) محددة تماما كاضافة ، اي اضافة تقريرية توحي بحادث تاريخي معين ..

وهذا القول الشعري يورده علي الجندي على لسان (قطري بن فجاءة) ، وهو من قعدة الخوارج ، والـذي كانت نهايته الحرب بالكلمة دون السيف ..

ومع ذلك ، الاسلوب ، وسياق الحديث نفسـه ، الذي ورد فيه يخرجها عن مدلولها التاريخي الى مدلول نفسي ايحائي تلقيني ..

ذلك ان (قطري بن فجاءة) سبق في عصره غـزو التتار ، وهذا الامر يفسر اشارة علي الجندي الـى ان أناشيده في قطري بن فجاءة : قد لا يكون لها علاقـة بالشخصية التاريخية ، المهم هو الاسم ، وهو قد يكون أنا وانت او أيا من جيلنا بين المثقفين على حد قوله (٦) ..

ومعنى ذلك ان التعبير صار الى التلقـين ، وان الاضافة صارت الى رفع العلمية تماما ، بل الى ظهـور الرفع وبروزه ، في سياق اسلوب يحتم ذلك ..

يقول الشاعر فايز خضور :

وعشنا الترقب ، والخوف في شهرزاد السنين
غفونا على الذل .. اطرى من الوعد في شهريار

الاضافة في (شهرزاد السنين) تلخيص مركـز ، لقصة شهرزاد مع شهريار ، ومكوثها عنـده الف ليلـة وليلـة ، واكثر .. والبيت الثاني بالفعل يوضـح ذلك بالتنويه الى وعدها باتمام حكاياها كل ليلة ، والذي يشبه به أغفاءنا على الذل ..

ولكن لا تضمين في هذه الاضافة ، وهي اضافـة تقريرية تلقينية ، رغم التركيز العنيف حقا فيها .. ذلك ان التضمين ، وخاصة التلميح ، يكون بالتبسيط السردي الذي يحملنا للتو الى حادث المكوث عند شهريار ، وتاريخيته الانسانيـة ..

يقول الشاعر محمد احمد العزب :

هوم الربان واسترخى على نهر الرماد
يا ذراع السندبـاد
ها هو الزورق للشاطىء عـاد
والذي فيه مسجى كان يوما سندباد
كان يا ما كان في الماضي السحيق
كان وجها من جماد

العائـد

حينما اغلقت جفني على الذكـرى البعيده
وعصرت الامس في ومضة حب وقصيده
حـين ودعت الاماني
وتوهمت وجودي فـي الاغاني
وطويت الناس عن وجه كتابي
وتخيلت حياتي وشبابي
هـي اشعـاري
خلـود الروح من اسر التراب
وتناسيتك اذ نسقت للفن جوابي
وانا اهديك شوقي ، وعتابي ،
شبحا تبـدو لعيني بعـيدا ..
فـي ضبـاب .
كنت امحوك، واعتاش على الذكرى البعيده
واذيب الشعر والثغر وعينيك قصيده
ثـم اقبلت مساء
كـان احلـى امسياتي
لم اكن ارقب ان ترجـع لي
اذ انـت آتـي
حـين بـدلت حياتي
يـا حياتـي .

بغداد — لميعة عباس عمارة

بصق الموت ، وغنى للعدم ..

الاضافة في (ذراع السندباد) صـورة حسيـة تلقينية ايحائية ، ترمز الى العزم على المغامرة والاسفار ، والذي كان لسندباد .. بدليل ان الابيات التالية ، مثل:

والذي فيه مسجى كان يوما سندباد ..

او : كان وجها من جماد .. ايضا .. تفيـد نفس المدلول ..

ولكن لا تضمين في الاضافة .. اذ العلمية مرفوعة ايضا بفعل المسار النفسي التلقيني ، الايحائي ، والرمزي الى حد ما في سياق الحديث ..

وتشبيه الربان بسندباد هو نفسه رغم ايحاءاتـه ، تشبيه عادي ، لا تضمين فيه (٧) ..

وسنتابع في العدد القادم توضيح بلاغة التضمين في احوال استعمال الافعال الدالة على حدث وقع لعلم من الاعلام ، واحكامها ..

دمشق — عدنان بن ذريل

أصـــداء

بقلم اديل الخشن

★

رسالتك في يدي ، شوق يومض
فأتلهف للجنى .
قلبي يطرق بشـــدة ،
وتعجز يداي عن فض الغلاف ،
تر ىماذا تقول ؟؟
وهرعت الى غرفتي ،
اقراها وحدي ، اغترف كلماتها
واحلل نقاطها المتتابعة المرصوفة .
عبق نفـاذ استخف جناحي
فسموت ، اجوب الغيوم
واوقظ العصافير من أعشاشها .
انحنيت ، اعتصر العبارات واقطرها
اشد الكتاب الى صدري
الصقه واسمعه لحني الخالد .
قارورة من طيب ، انهمرت في غرفتي ،
تفتحت لها ثغور الورد
وتماوج حريد الستائر
يوشوش النسمات سر الانتعاش .

حالة من صورت بطاقتك ؟
بيت هادىء يلفه الظلام
والمدينة صاخبة ، متلألئة الانوار ...
اطل من وراء البيت هلال ،
سوار ياسمين ، شفت له الجدران
وتراقص زجاج النوافذ .
جدول من نور ترقرق
فتلألأت في البيت مرايا سحرية

ابتعد الجدول وغاض ، وعاد حنيني يتوقد
والجفاف يغلف البيـت
أوراق الورد صمتت .. خنقت انفاسها
عاد القحط الى نفسي ، فتواريت ،
يشلني سأم دائم ، أسهر ، أنتظر ...
واهفو الى اطلالة ثانية ،

متى تمر هذه السحابة ،
فأشرع نوافذي للضوء
وارى الجدول الفضي
يتفجر في اركان بيتي من جديد ..

★

موعد رجوعك ، ضوء يقرع الليالي ،
سنونوة تحط وعدا على نوافذ الشوق .
جاء الغد ، والغد الثاني وانت لم ترجع
حديد الشرفة تعب يلهث
وذراعاي خدر يتمطى .
عيناي تضيئان الرصيـف
تبحثان بشوق عن لون سيارتك .
ويرن الهاتف ... اعتصر الالة
ويداي تسبقان شفتي بالتهلل
الخيبة تلاحقني ... وصوتك ما زال بعيدا
اعود الى الشرفـة ، انتظر ...
شهقة نجمة ، او هطول غيمـة .

ويقرع الباب ، يخفق قلبي ،
يقفز ، حتى احسه في ركبتي
وتندفع عيناي قبل أذني لالتقاط همساتك ،
لسماع زغردة اولادنا وفرحتهم بك ،
ويغلفنا سكون .. ونبتلع آمالنا بحرقة ،
فالدرج لم يصفق بعد لوقع خطاك .
واسهر مع الليل أزرع عيني في مرامي صمته
ارافق لهثاته الهامدة ، استغرق في سكون الشارع
واخبو مع شحوب أضوائه .
النجوم تدثرت بالغيم الداكن وقبعت
تستريح من الالتفات الى الارض ..
لم تـأت ! ... خبا بريق عيني
وتلاشت اكداس من عبير .
لم تأت ! .. ظلت شموعي مطفأة ويدك لم تحتضن يدي .
اسندت رأسي المثقل ،
اتمتم بنواح خافت : عله يأتي غدا
فلا اهرق عطري سدى .

الشويفات ــ لبنان — اديل الخشن

احمد خليفة - درويش الدباغ سعيد العيسي

بقلم البدوي الملثم

***

١ ـ احمد خليفة

في صفد الجائمة بين الجرمق وكنعان بفلسطين ولد احمد خليفة عام ١٩٠٢ وتلقى دروسه الابتدائية في العهد التركي . وبعد ان دخلت فلسطين في حوزة الاحتلال البريطاني انضم الى جهاز التعليم وعين مديرا لمدرسة ابتدائية ، فمساعدا لمدير التعليم في لواء نابلس فمديرا لمدرسة خضوري الزراعية بطولكرم فمفتشا للتربية والتعليم في الادارة العامة بالقدس ، فمديرا للتعليم في لواء القدس ، ويشمل هذا اللواء مناطق القدس والخليل وبيت لحم ورام الله واريحا ، وظل في عمله هذا من عام ١٩٣٦ لغاية زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين عام ١٩٤٨ .

بعد حلول النكبة المروعة الاولى قصد سورية وعين عام ١٩٤٩ استاذا للتربية وعلم النفس في دار المعلمين بحلب فمديرا لدار المعلمين ومفتشا عاما للمدارس الاميرية في ليبيا وظل يعمل هناك عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ .

اشتهر الفقيد كمحاضر في التربية والتعليم وحمل قسم من محاضراته عنوان « اعرف وطنك » كما اشتهر بالدورات التدريبية التي كان يعدها للمعلمين .

ومن شعارات هذا المربي القدير والمحاضر المجلي « المرء بعمله وجده » و « المرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد » .

وفي صيف عام ١٩٦٤ انتخب عضوا في المجلس الفلسطيني المنعقد في بيت المقدس ورئيسا للجنة التربية والتوعية .

وفي ٢٩ آب ١٩٦٤ توفي بدمشق وتقديرا من وزارة التربية والتعليم الاردنية اطلقت اسمه عام ١٩٦٥ على مدرسة اعدادية في بيت المقدس .

من آثاره القلمية :

١ ـ التربية واساليبها العملية
٢ ـ تاريخ العرب
٣ ـ معالم التاريخ (مترجم)
٤ ـ القراءة الجغرافية المصورة
٥ ـ الدين الاسلامي والتهذيب
٦ ـ تاريخ فلسطين وجغرافيتها .

نموذج من نثره :

« اساتذة التاريخ مختلفون فيما بينهم عن حكمة تعليم الترتيب الزمني للطلاب في سن مبكرة ، ومعنى ذلك اعطاء الحوادث بحسب ترتيبها في عمر الزمان وربط الحادثة بالتاريخ الذي حدثت فيه . واختلافهم في هذه النقطة ادى بهم الى الاختلاف في المادة التاريخية المناسبة للطلاب بين السابعة والحادية عشرة من اعمارهم . فبعضهم يرى ان يعطى التلاميذ وهم في هذه المرحلة قصصا مختارة من تراجم العظماء . فالتاريخ القومي ، على ان تكون هذه كلها مرتبة ترتيبا زمنيا بحيث لا يضع التلاميذ سقوط تدمر قبل انتصار تحوتميس في معركة مجدو وان يعرفوا ان حمورابي جاء الى العالم قبل سقراط وهكذا . وقصدهم من تعلم قصص التاريخ وسير العظماء بحسب ترتيبها الزمني تفهيم التلاميذ ان هذا الترتيب الزمني مهم في التاريخ واعدادهم لمراعاة هذه القاعدة في دراسة التاريخ فيما بعد .

ويردون على القائلين بان عقل الطفل اقل من ان يدرك الحقب الطويلة من الزمن البالغة الالوف من السنوات قبل الميلاد او بعده باعتباره قاصرا عن ادراك مدى القرون وهو في العقد الاول من عمره بهذا القول وهو ان الطفل يدرك وهو في الرابعة او الخامسة من عمره معنى «قبل» و «بعد» بحيث لو سمع من امه حكاية من الحكايات لتساءل : وهل جرت حوادث هذه الحكاية قبل ميلاده او بعده ؟ وانه يعرف معنى «امس» و «غد» وانه في السنة العاشرة من عمره يكتب تاريخ اليوم بحساب الشهر والسنة في رأس كل درس من دروسه ، وانه يعرف معنى التعاقب الزمني من اختباره الشخصي في الحياة ، كولادته بعد اخيه الاكبر مثلا بثلاث سنوات وقبل اخته الصغرى بسنتين وانه يعرف انه دخل المدرسة بعد ولادته بست سنوات او سبع وان امورا معلومة حدثت في البيت ، وفي سن الرابعة وبعضها وهو في سن السادسة ، وانه يستطيع بعملية حسابية بسيطة ان يؤرخ هذه الحوادث كما ان قوة الربط لديه قوية الى حد ما ، فاذا تعلم الحادثة مقرونة بتاريخها يذكر التاريخ اذا ذكر الحادثة .

وقد جرت ادارة معارف فلسطين على هذه القاعدة في ترتيب منهج التاريخ بحيث قررت عددا من الحكايات للصف الاول فعددا من تراجم العظماء للصف الثاني ، ثم ما هو معلوم من مقرر الصفوف الاخرى وعززت هذا المنهج بقوائم ضمنتها تواريخ اشهر الحوادث في مقرر كل صف وطالبت بتحفيظ هذه التواريخ للتلاميذ في سياق

الحوادث المرتبطة بها مع اعتبار بعض التواريخ نقاطا بارزة في جدول هذه التواريخ بحيث يتمرن التلاميذ على ترتيب الحوادث بحسب وقوعها قبل هذه التواريخ او بعدها مع حساب المدة بينهما . وغرضها من ذلك ان يعرف التلاميذ زمن الحادثة المعينة بحيث لا يقدمونها ولا يؤخرونها عنه .

اما راي الفريق الثاني فخلاصته ان الطفل قبل الثانية عشرة من عمره لا يقيم وزنا للتاريخ مهما كان نوعه ، واذا تعلم شيئا فمعرفته لا تعدو ان تكون الفاظا جوفاء يكررها ولا يفهمها ثم لا يلبث ان ينساها ، ولذلك اسباب منها ان التاريخ سجل لاعمال الراشدين من بني الانسان وان هذه الاعمال تسمو عن مدارك الطفل واختباره . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الطفل لا يتلذذ بالحوادث البعيدة عنه في الزمان والمكان . والمواضيع المدرسية لا تعلم بالقياس الى اهميتها في نظر الكبير بل بحسب قيمتها في تنشئة الطفل وارهاف ذهنه ، اذ لا خير في علم لا يصبح جزءا من نفس الطالب»

٢ ــ درويش الدباغ

ولد في يافا عروس الساحل الفلسطيني عام ١٨٧٨ وتعلم في الكتاتيب البدائية وتولى تدريسه الشيخ عبد القادر الدباغ جده لأبيه والشيخ سعيد الشرقاوي جده لأمه .

وبعد ان شب درويش عن الطوق صحب خاله الشيخ يوسف الشرقاوي عندما عين قاضيا في صنعاء باليمن في هذه الرحلة وعين رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية فيها ، وبعد ان جمع بعض المال سافر الى استانبول ودخل مدرسة الفنون وتخرج من دار المعلمين ، وبعد تخرجه هذا عين مديرا للمكتب الاعدادي في جزيرة « مدللي » احدى جزر الارخبيل اليوناني وامضى هناك اربع سنوات .

وبعد ان اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ عين مديرا للمكتب الرشدي في يافا ونزع العمة عن راسه وعين مأمورا للاجراء في يافا وظل في وظيفته هذه الى ان احتلت بريطانيا فلسطين (١٩١٨) وفي هذا العهد عين مساعدا لمأمور الاوقاف في يافا فمديرا للايتام ، وبعد فترة عرض عليه المسؤولون منصب الافتاء في مسقط راسه شريطة ان يعتمر العمامة لكنه رفض هذا الشرط .

وفي عام ١٩٢٧ احيل درويش على التقاعد فزاول المحاماة الشرعية في يافا وظل في عمله هذا حتى وقعت النكبة الفلسطينية المروعة فلجأ الى نابلس ومنها الى الاسكندرية . وفي اول يوم من شهر تموز ١٩٥١ لحق بربه ودفن في مقبرة الاسكندرية الكبرى وتخليدا لذكراه انشأ ورثته مكتبة عامة فوق ضريحه .

نموذج من خطراته :

١ ــ يكون في الدستور صلاح لأمة وفساد لأمة أخرى .

٢ ــ اخوان هذا الزمان اكذب الناس حتى في المؤاساة عند وقوع النازلة ، فقد يقولون : « ليتني قد اصبت دونك او مت من قبل فقدك ، وليت ما اصابك من الالام أصابنا قبلك ! » .

٣ ــ غير جدير بخلود الذكر من كان همه من الحياة لذاتها .

٤ ــ ليست الوطنية آلة موسيقية يطرب لها من يجيد العزف ومن لا يجيده ، وانما هي احدى الاغاني السماوية هبطت بين آذان الطبيعة وسمع الفطرة ، ومن واجبات كل نفس ان يكون لها منها نشيد تهتز له العواطف ويصح به الوجدان .

٥ ــ يجب ان يرتفع الفكر في بحبوحة من الحرية بلا تحديد ، فان زل ساغ تقييده ، وجاز تحديده .

قبل وقوع النكبة حفل منزل الدباغ في يافا بمكتبة جمعت كتبه ومؤلفاته ومؤلفات شقيقه الشاعر المرحوم ابراهيم الدباغ وضمت حوالي ٣٠ الف مجلد . لكن هذه الثروة الثمينة آلت الى يد العلج اليهودي . واشتهر درويش بقرض الشعر وولع بالموسيقى والانشاد وترجم عن التركية الى العربية بعض قصائد نامق كمال وغيره من شعراء الترك وحفلت مجالسه بعشاق العلم وهواة الادب واشتهر بنزعته الصوفية .

من آثاره القلمية : : ترك المرحوم درويش الدباغ طائفة من المؤلفات المخطوطة لكنها آلت الى اليهود بعد اغتصابهم فلسطين ، ومن تلك الآثار :

(١) الحياة الصالحة : يضم مجموعة من خواطر الفكر .

(٢) رباعيات الخيام : يضم ترجمة نثرية لرباعيات الخيام من الفارسية الى العربية وبعث بهذه الترجمة النثرية الى شقيقه الشاعر ابراهيم الدباغ (نزيل القاهرة عهد ذاك) ليصوغها صياغة شعرية فأودع ابراهيم بعض هذه الرباعيات نفرا من اصدقائه الشعراء مثل اسماعيل صبري والشيخ فؤاد الخطيب فصاغ هذان الشاعران بعض الرباعيات النثرية شعرا ونشراها في مجلة «الزهور» كأنها من بنات افكارهما .

(٣) كتاب في المنطق . (٤) كتاب في العقائد .

(٥) كتاب في الزراعة . مترجمة بقلمه عن التركية .

(٦) كشكول الدرويش : ضم ما وعاه ذهنه من الحكم وفرائد الابيات لاعلام الادب عدا الفكاهات والنوادر .

٣ ــ سعيد العيسى

الشعار الذي حمله « سعيد » وظل يردده ويزهو به حكمة لقمان لولده : « يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم ، فافتخر أنت بحسن صمتك ! » .

في أعقاب الحرب العالمية الاولى ولد « سعيد » في يافا بفلسطين وتحدر من نبعة كريمة اسهمت في الادب والصحافة . فوالده المرحوم جريس العيسى شاعر أرخ

احداث الشرق العربي في النصف الاول من القرن العشرين على حساب الجمل في الشعر ... وابناء عمومته : حنا عبدالله العيسى صاحب مجلة « الاصمعي » التي اصدرها في بيت المقدس وصدر العدد الاول منها في الاول من ايلول ١٩٠٨ وعيسى داود العيسى ويوسف العيسى صاحبي جريدة « فلسطين » وصدر العدد الاول منها في يافا في ١٤ كانون الثاني ١٩١١ ويوسف العيسى صاحب جريدة « الفباء » وصدر العدد الاول في دمشق في الاول من ايلول ١٩٢٠ وداود بندلي العيسى صاحب جريدة « البلاد » المقدسية ، وورث سعيد عن المرحوم أبيه الشعر ، وتلقى تعليمه الاولي في المدرسة الوطنية بيافا وانهى تعليمه الثانوي في مدرسة الفرندز برام الله وفيها فاز بكؤوس فضية في مباريات سنوية للشعر العربي والشعر الانكليزي ، والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت وحصل على البكالوريوس في الادب العربي والتاريخ عام ١٩٣٧ ، وخلال دراسته الجامعية كانت له نشاطات ادبية وقومية في « العروة الوثقى » وشارك في طائفة من المباريات الشعرية كان في معظمها مجليا ، كما اشترك مع المؤرخ الدكتور اسد رستم عام ١٩٣٧ في اعداد دراسة خاصة ، بتكليف من الحكومة السورية ، تثبت عروبة لواء الاسكندرونة .

وبعد ان تخرج « سعيد » من الجامعة الاميركية عين استاذا للغة العربية وآدابها في كلية بيرزيت بفلسطين وفي عام ١٩٤٢ عين استاذا للعربية وادابها في كلية غزة ، وتخرج على يديه من كلتا الكليتين عدد من شعراء فلسطين الشبان .

وفي عام ١٩٤٣ التحق « سعيد » بالاذاعة الفلسطينية مسؤولا عن القسم الادبي وأمضى اكثر من سنة يقدم في كل اسبوع احاديث ادبية وعلمية ضمن برنامج « مدرسة الاذاعة » وفي هذه الاثناء عهد اليه المربي المرحوم خليل السكاكيني بتدريس الادب العربي في « كلية النهضة » بالقدس .

ومع زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين عام ١٩٤٨ التحق بـ « محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية » في قبرص محررا للاخبار ومعلقا سياسيا ، ولقد أثارت تعليقاته هذه نقمة مندوب اسرائيل في هيئة الامم المتحدة وقدم احتجاجا الى الحكومة البريطانية .. وقبل ان تجيب بريطانيا عن هذا الاحتجاج كانت « محطة الشرق الادنى » هذه قد تحولت الى « محطة بريطانيا » اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وهنا أهاب «سعيد» بزملائه المذيعين العرب الاستقالة من هذه المحطة التي لم تلبث ان انهارت بدورها واخرست الى الابد .

وفي عام ١٩٥٧ عاد « سعيد » الى الاردن وعهد اليه بمديرية الاذاعة الاردنية خلال فترة دقيقة من تاريخ الاردن . وفي عام ١٩٥٨ دعي مع وفد من صحفيي الاردن لزيارة بريطانيا والولايات المتحدة ، وفي هذه القى محاضرات اذاعية وتلفزيونية عن خطورة الموقف في الشرق الاوسط ، وشارك في مناظرات مع صهيونيين معروفين حول القضية الفلسطينية . وبعد عودته الى الاردن استقال من عمله في الاذاعة الاردنية وعهد اليه بالاشراف على البرامج الادبية والثقافية في محطة الاذاعة البريطانية بلندن ولا يزال يعمل فيها .

العروة الوثقى : اغتنم « سعيد » وجوده في لندن فعمل مع نفر من الادباء العرب على تأسيس جمعية ادبية باسم « العروة الوثقى » ولا بد من لمحة مستفيضة حول هذا الحدث الادبي :

ولدت فكرة تأسيس رابطة ادبية عربية في لندن في شتاء عام ١٩٦٣ في لقاء ثلاثي بين ثلاثة من الادباء العرب الثلاثة : حسن الكرمي والدكتور فؤاد حداد وسعيد العيسى ، وعرضت الفكرة فيما بعد على بعض الاساتذة العرب الذين يعملون في الجامعات البريطانية (وكان منهم في عام ١٩٦٣ الدكتور وليد عرفات والدكتور حبيب الراوي) فلقيت تحبيذا ، ومنذ ذلك الحين اصبح تقليدا لدى الرابطة ان تدعو بعض الاساتذة العرب للاسهام في نشاطاتها كأعضاء منتسبين .

اما الهدف من تأسيسها فهو ترجمة التفاعل الفكري الغربي لدى الادباء العرب الموجودين في بريطانيا الى نتاج عربي اصيل ، على غرار ما فعلته « الرابطة القلمية » في الولايات المتحدة و « العصبة الاندلسية » في البرازيل .

وهكذا ظهرت « العروة الوثقى » وشعارها « قلب عربي وعقل اوربي » أي التشجيع على دراسة التراث العربي الادبي والفكري بالطريقة الموضوعية والعملية التي يستخدمها الادباء والمفكرون الاوربيون .

وفي بادىء الامر انصرف تفكير مؤسسها الى تحقيق اهداف رابطتهم عن طريق اصدار نشرة ادبية في لندن تكون اما مجلة او مجرد نشرة دورية تحمل نتاج الاعضاء مع مراجعة بعض الكتب التي تظهر في الغرب بغية اطلاع المثقف العربي عليها ، غير ان عقبات كثيرة حالت دون تحقيق الفكرة في حينها منها عودة الاديب الشيخ خليل تقي الدين سفير لبنان السابق في لندن (وكان رئيسا فخريا للعروة الوثقى بوصفه السفير العربي الاديب الوحيد في لندن) . وبعد الزلزال المريع الذي دك العالم العربي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ انصرفت « العروة » الى نتاج ذي ثلاث شعب :

الاولى : الكتابة الفكرية ، ويتولى امرها حسن الكرمي ، من ذلك سلسلة « طبقة الفهماء » التي يكتبها (حسن) في « الاديب » كل شهر ، وهي بحث متسلسل عن التفاعل الفكري في الغرب : فلسفة اليونان القدامى ونظرتهم الى الادب .. الفلسفة في القرون الوسطى ، والوجودية ، مع مقابلة ذلك بفلسفة طبقة الفهماء عند

فابشري يا بطاح ، في كل ارض
الوليد الذي عرفت يتيما
كلما رام عطفة منك ولى
قد بنى صرحك الوطيد وأضفى
فابسمي للوليد مفخرة الدهر
أمة انت قد بناها نبي
والى المجد والعلى قال سيري
وانفحي الكون بالهدى ، أو فديه
يتلظى في حماة من ضلال

منك عرس ورجعة من نشيد
ومشى فيك حائرا كالشريد
لم يزود بغير مر الصدود
بردة المجد فوقه والخلود
وتيهي على الورى بالوليد
فوق عرش القنا وهام الصيد
ثم كوني قذى بعين الحسود
في عمايات عاثر منكود
سعرتها كواذب من وعود !

نموذج من نثره : « يشارف الفيلسوف البريطاني برتراند رسل الان على السادسة والتسعين ، فيكون بذلك قد عاش اطول من الفيلسوف الانكليزي توماس هوبز الذي يشبهه من عدة نواح ، والذي توفي في عام ١٦٧٩ وهو في الثانية والتسعين من العمر .

وقد مرت حياة رسل ، كما مرت حياة هوبز من قبل ، في مرحلتين اثنتين مع فارق بينهما ، وهو ان هوبز انتج خير اعماله الفلسفية في النصف الثاني من حياته في حين ان خير اعمال رسل صدرت عنه وهو في الخمسين . ولقد عكف رسل في صدر شبابه على وضع اسس نظرية في المنطق لعلها اهم نظرية في بابها منذ عهد ارسطو ، فاقتضاه ذلك ان يعيش حياة دارس تتميز بالدعة والهدوء . ثم حصل التحول المفاجيء وكان ذلك قبيل الحرب العالمية الاولى بسنة او سنتين ، فأصبح برتراند رسل هو الذي يعرفه العالم اليوم : مصلحا سياسيا واجتماعيا يترسم خطى فولتير وزعيم راي طليعيا ذا حياة شخصية خصبة براقة . لقد تحدث في الجزء الاول من سيرته عن سنيه الاولى كدارس ومفكر هادىء ، اما في الجزء الثاني الذي نعرضه اليوم فقد تحدث عن سني نضجه وانطلاقه .

يقول رسل ان حياته قبل عام ١٩١٠ وحياته بعد عام ١٩١٤ جد مختلفتين ، فكأنما هو دخل في عهد من الشباب المتجدد دشنته له اوتولين موريل وظروف الحرب . اما اتصاله باوتولين موريل فقد كان له تأثيره من الناحيتين العقائدية والعاطفية . كانت اوتولين داعية سلام ، وكان لديها شعور خفي بأن الحرب بين الدول الاوروبية سيكون معناها القضاء ليس فقط على التراث الثقافي الارستقراطي الذي كانت تنعم به هي بل والقضاء ايضا على المثل الاجتماعية الحرة التي كانت تطمح اليها . واثرت في رسل ، فانتقل كرهها للحرب منها اليه ..

وبعد عام ١٩١٤ وقف رسل وقته وجهده على تحبير المقالات والقاء الخطب ضد استمرار الحرب . وهاله عندما اكتشف في عام ١٩١٤ ان معظم الناس في الواقع كانت لهم رغبة في الحرب . يقول في ذلك « كنت احسب حتى ذلك الحين ان معظم الناس يحبون المال ويفضلونه على كل ما سواه ، فاذا بي اكتشف انهم يحبون الخراب والدمار اكثر .. كنت احسب ان المثقفين يؤثرون الصدق والحق فاذا بي اكتشف ان ما لا يزيد على عشرة في المائة منهم فقط يفضلون الصدق والحق على الشعبية وحب الظهور ، وهكذا داخلني اليأس من هؤلاء الشبان الذين يساقون الى الذبح والغضب من ساسة اوروبا كلهم .

وفي غمرة هذه المشاعر كانت غيرتي الوطنية تعذبني ، ان حب وطني هو بالنسبة اليّ اقوى شعور يتملكني ، وفي تنحيتي هذا الشعور جانبا كنت في الواقع اتخلى عن شيء من الصعب جدا التخلي عنه ، ومع ذلك لم اتردد ، كنت اعرف ان من واجبي الاحتجاج مهما يكن الاحتجاج عقيما»

وعندما اقر قانون الخدمة العسكرية خلال الحرب لم يسر على رسل بالنظر الى تجاوزه السن ، ولكنه راح يدافع عن دعاة السلام الذين رفضوا التجند ، وذلك على الرغم من عداء الراي العام له . ولم يلبث ان زج به في السجن بتهمةالتحريض والاثارة . يقول في صدد انطباعاته عن السجن : « لم يكن السجن شرا كله ... فقد كنت خاليا من الارتباط ومن البت في قرارات صعبة ، اكببت على القراءة بنهم ووضعت كتابي « المدخل الى الفلسفة الرياضية » وشرعت في تأليف كتابي «تحليل الفكر» كنت مهتما بدراسة زملائي السجناء الذين لم يبدوا لي من الناحية الخلقية انهم دون بقية السكان ، وان كانوا على العموم دون المستوى العادي في الذكاء بدليل القبض عليهم » .

وجاءت نتيجة الحرب مؤيدة لاعتقاد رسل بانه كان على حق في معارضتها . ولكنه يقول انه اخذ على العموم يفقد ايمانه بقيمة السلام . والواقع ان هذا الجزء من سيرته يكاد يكون كله وقفا على الامال الخائبة ، ولكن ما السبب في هذا التحول عن الدعوة الى السلام ؟ . يرجع السبب في الدرجة الاولى الى تجربته عام ١٩٢٠ عندما اسس مدرسة نموذجية فقد ادرك من هذه التجربة ان النزعات العدوانية متأصلة في طبيعة البشر وانه لا بد من القوة للدفاع عن الضعيف امام القوي . اما العامل الآخر في تحوله فهو ظهور هتلر على مسرح الاحداث ، وبغضه الشخصي للنازية وكل ما تمثله .

وثمة امل آخر قد خاب ظنه في قيمته هو الحرية الجنسية . فبعد تجربته العاطفية مع الليدي اوتولين موريل كانت له تجارب ، وتزوج مرتين او ثلاثا ثم طلق . وكان يخرج من كل تجربة اكثر يقينا بعمق نظريته في الحرية الجنسية ... هذه النظرية التي شرحها ودعا اليها في كتبه عن الزواج والسعادة . وفي خلال الحرب العالمية الاولى قامت علاقة بينه وبين الليدي كونستانس مالسون وهي ممثلة متزوجة كانت جريئة في الدعوة الى قضية السلام . وعندما خانته الليدي كونستانس (وكانت تمارس في ذلك حقها في الحرية التي تدعو اليها) انكفأ على نفسه وشعر بالطعنة في صميمه .. يقول في ذلك :

« كان ثمة شيء واحد ينغص علي حياتي في السجن

رحـــلة

في ليلة معطار
تفتحت ابكار
اسرارها آبار
تعوي بها الامطار
عبر المدى الموار
يا جنة السمار
للناي والقيثار

تمزقت استار
وجنحت اسحار
مسدودة بالقار
والريح والاعصار
بالورس والنوار
تفجري ... انهار
والعود والزمار

احلامنا .. يا دار
في زورق المحار
حرمانها النغار
وحلوتي « ازهار »
اسطورة من غار
شفاهها اشعار
لو عضها اذار
اغوت رؤى ايار
اشواقها تذكار
عادت بلا اسفار

تشدها اسوار
حورية الاقمار
مسعر كالنار
مشدودة الزنار
كانها عشتار
وصدرها اعصار
في واحة الاطيار
من حانة معطار
مجنونة الاقدار
من رحلة الامطار

القاهرة
علي الحلي

هو علاقتي بكونستانس . فبعد مضي سنة واحدة على حبي لها انصرفت الى حب شخص آخر مع ان ذلك (كما قالت) لا ينبغي ان يؤثر على علاقتنا معا .. الا انني وقعت فريسة الغيرة القاتلة ، وعندما كنت في السجن كانت الغيرة تأكلني اكلا » .

بعد خروجه من السجن تعرف الى دورا بلاك من كمبردج وكان قد طلق زوجته الاولى والحت عليه رغبة شديدة في ان ينجب اولادا فتزوج من دورا بلاك ورزق منها ولدين . اما وصفه لنعمة البنين ومباهج الابوة فهو من اجمل الفصول في هذا الجزء ، وهو يقول ان دوره كأب قد شغل عليه كل اهتمامه خلال السنوات العشر التي تلت مولد ابنه الاول . والحقيقة انه انما افتتح مدرسة نموذجية في عام ١٩٢٧ ليوفر التعليم المثالي لولديه ، غير ان التجربة باءت بالفشل لغير ما سبب واحد ، وقد اعترف هو نفسه بأن بعض نظرياته كانت مغلوطة .

اما كتابه « الزواج والاخلاق » فقد سبب له بعض المتاعب بعد عشر سنوات من نشره . ففي اواخر الثلاثينات بعد ان تزوج للمرة الثالثة ، سافر مع عائلته الى امريكا لتجنيبهم ويلات الحرب في اوروبا فكانت الاراء الواردة في كتابه من العقبات في سبيل انتسابه استاذا جامعيا . وقد قاسى الكثير في امريكا وشكا من ضيق ذات اليد . ولعل هذا يفسر لنا مواقفه المشهورة في معاداته لسياسات امريكا فيما بعد ...

يقف رسل في تدوين سيرته الذاتية عند عام ١٩٤٤ . ويخرج القارىء من مطالعة هذا السفر بفكرة واحدة واضحة : وهي ان برتراند رسل كلما تقدم القرن العشرون راح يشعر اكثر فاكثر بالحيرة وخيبة الامل . ذلك ان طبعه الذي ركب عليه وعبقريته التي لا يرقى اليها الشك قد جعلا منه شخصا غريبا في العالم الحديث » .

عمان ـ الاردن
البدوي الملثم

كان الجو حارا خانقا ، الشمس تنتصف السماء وترسل سهامها الملتهبة الى الارض ، والكون من تحتها مستسلم لبطشها ، والاشجار مدلاة الفروع ... والاسفلت يكاد ينصهر تحتي وخيالي يتوارى في قدمي ، كنت اقف في انتظار الاوتوبيس القادم من المطرية ، مرت من امامي سيارات مختلفة ، نقل ... اجرة ، تطارد مجهولا امامها ، ومرق (السريع) في أثرها كالسهم ، التفت اليه اتابعه وهو ينهب الطريق متعاليا ، انه لا يعير قريتنا الا بآلة التنبيه المزعجة يطلقها كلما اعترض طريقه طفل او حمار .. واحيانا بلا سبب كأسد الغابة حينما يزأر ليملأ اركان مملكته برهبته وسلطانه ... مر (السريع) كعادته بلا توقف امام قريتنا الصغيرة فهو لا يقف الا امام البلدان الكبرى تاركا الصغيرة (للعادة) والكبير دائما محظوظ ... لا علاقة ولا تعامل مع قريتنا (والسريع) الا في حالات نادرة ، طفل يعبر الطريق فجأة فتضيفه عجلاته طبقة فوق الاسفلت، او حمار يسبق صاحبه فيقذفه في الترعة المجاورة للطريق كتلة من اللحم والعظم المضرجة بالدماء ... او يصدم شجرة على حافة الطريق فتحل كارثة ، ويومها يتدفق سكان القرية رجال ونساء للنجدة بكل وسيلة ممكنة ناسين صلفه وتعاليه.

وبينما كنت اتابع (السريع) بناظري كنت احسد البلدان التي يقف امامها والمسافرين اصحاب الحظ في ركوبه من امام بلدانهم ، فهو نظيف يتحرك فيموعده بالدقيقة ويصل محطاته في موعده ، سائقه في حاله يرافق الطريق وحده كأنه يستقله بمفرده ، والمحصل صامت يجوب السيارة في هدوء ، وركابه لا يتكلمون ، فقط يقرأون الصحف وينظرون في ساعاتهم من وقت لآخر .

وبالرغم من اعجابي به فانه لم يكن شهما (كالعادة) في حالات عديدة شاهدتها بنفسي وانا احد ركابه ، كان نذلا ، احداها لا انساها، يوم ان هبت فلاحة من المقعد الخلفي الاخير تجرجر ثوبها الاسود وتحمل على زراعها الايمن طفلا رضيعا يمتص اصبعه ، وخطت حتى مكان السائق مستندة بيسراها الى المقاعد ، ولما استقرت بجانبه قالت له متوسلة :

— يعمر بيتك ويخليك لعيالك ... نزلني هنا .

— هنا فين ؟!

قالها دون ان ينظر اليها .

— كفر التبن .

— كفر التبن ؟! .. تذكرتك لفين ؟

— لبنها ... لكن نازلة قبلها ..

الناس والطريق

بقلم ابراهيم ستيت

كفر التبن ..

— تنزلي بنها .

— لكن انا نازلة كفر التبن ... يخليك لعيالك ... علشان خاطر العيل ده ... الفرق خمسة كيلو ... بس انا والده جديد ... ما اقدرش امشي .. رايحه ازور امي ... اصلها بعيد عنك عيانه ويا الحقها يا ملحقهاش ..

— مش ممكن ، تعليمات ، احنا سريع ...

ولحق بها الكمساري ، التفتت اليها متوسلة بعد ان توسمت فيه نجدة قائلة :

— يعمر بيتك ، يخليك لعيالك ، يكفيك شر المرض ويفتحها في وشك ...

— ايه يا ست ؟!

— نزلني كفر التبن علشان خاطر الولد ده ، أصل انا والده جديد .. ـل امي عيانه ..

— ممنوع يا ست احنا مش (عادة) .. احنا (سريع) .. ابقي اركبي (العادة) ..

وتركها وعاد ثانية الى المقعد الخلفي بعد ان ضاعت توسلاتها ، ونزلت بنها كسيرة ، كان بودي — لو جاز — ان تركب ظهري هي ورضيعها الى باب مسكن امها .. لكن لم يتكلم احد من الركاب ليساندها وكأنهم لم يسمعوها ...

اختفى (السريع) من امامي بعد ان ازدرده الطريق بين صفين من الاشجار على حافة الافق ، والتفت خلفي الى الناحية الاخرى من الطريق حينما سمعت آلة تنبيه مبحوحة تكاد لا تسمع . كانت السيارة (العادة) تقترب ببطء من الموقف ، ترتج في ضجيج كالخوار بينما ينبعث من مؤخرتها دخان كثيف .

وقفت السيارة ، وتحرك الركاب اليها حاملين اقفاصا واعواد قصب وبطا وفراخا وحينما فتح اولهم الباب التفت السائق للركاب الجدد مبتسما محييا أولهم :

— اهلا حاج سعيد ، على مهلك العربية فاضية ..

— اهلا اوسطى عواد .. كل سنة وانت طيب ..

وقفت لحظات حتى دخلت السيارة وسط الزحام ثم تحركت ببطء وعناد بينما يتصاعد دخانها بداخلها حتى غمرها ، لكن احدا لم يتأفف منه ، الابتسامة العريضة تفيض على وجه عواد وهو يتحدث مع الحاج سعيد في صوت ضائع وسط ضجيج وثرثرة عمت السيارة .. حاسب القفه .. اوعى تدوس عليها .. فيها نعمة .. تذاكر ... مين مأخدش تذاكر .. هات الباقي .. اقطع لي يا شيخ حسن معاك ، أصل مش عارف احط ايدي في جيبي .. تعالى اقعد مكاني والله



لا يمكن مشى أصول ..
لم اقف طويلا حتى امسك بحقيبتي رجل لا اعرفه قائلا :
— عنك .
تركتها دون تردد ، ثم جذبني آخر لا اعرفه ايضا قائلا :
— تعالى على رجلي ، اقعد ، استريح ، سلف ودين ..
جلست على ساقيه ارقب الطريق من النافذة المجاورة ، خطف ناظري (السريع) يمرق من جوار النافذة في الاتجاه العكسي بينما يفرق صوته السيارة فيرجها كالخائفة ، وعواد يبتسم للحاج سعيد وهو يربت على عجلة القيادة قائلا :
— اتحايلوا علي اسوق (سريع) .. رفضت .. تعيشي لنا يا عزيزة .. عشرة خمستاشر سنة .. (سريع) آل ... مرسيدس آل .. مظاهر بس .. تعيشي يا عزيزة .. والا ايه يا حاج سعيد ؟
— (السريع) لو .. لو تسوقه انته يا اسطى عواد يبقى عال !!
— أسوق (سريع) ؟!
— وتقف على بلدنا !!
— وباقي البلاد !؟! مش ممكن .. مش ممكن العربيات كلها تبقى (سريع) .. ومش ممكن العربيات كلها تبقى (عادة) ..
— ولا (سريع) ولا (عادة) .. العبره بالسواق .. يا اسطى عواد .
— والسكة بتنساهاليه .. السكة عمر العربية ..
— العبرة بالسواق .. يا اسطى عواد ..
شقت السيارة طريقها وسط بلدة ينتصفها الطريق ، ووقفت امام مقهى هلل صاحبها على الفور وهو يقترب من قبالة السائق :
— اهلا اهلا .. يا عم عواد ... حمدا لله على السلامة .. قلقنا عليك يا راجل .. غبت ثلاثة ايام كانوا ثلاث سنين ، اي والله .. شاي يا ولد .. على فكرة المفاجيء كان هنا حالا وشرب شاي ومشى قدامك ..

مد عواد يسراه من النافذة ليتناول كوب الشاي ، وتحركت السيارة من جديد ببطء بينما عواد يشرب الشاي ، لقد تعود ذلك .. ويرد الكوب الفارغ في العودة ... اشتدت وطأة الحر من شدة الزحام والدخان المتصاعد داخل السيارة ومع ذلك لم اشاهد بها شخصا واحدا متبرما ، كان الاعتياد ظاهرا ، الزحام شيء عادي في حياتهم ، وثرثرتهم ممتدة لا تبالي بشيء .
تعلقت نظراتي بسيدة فلاحة تجاورني بمقعدها ، كان يجلس على ساقيها صغيرها وتحتضنه الى صدرها برفق ، جطت نظراتي عليهما وهي تتجول بالسيارة مشدودة اليهما بقلق عمهما ، كان الطفل يهمس في أذن امه من حين لآخر لكنها لم تفعل شيئا اكثر من التلفت حولها متمتمة :
— وايه العمل ؟
نهضت السيدة من مكانها متقدمة من السائق ممسكة بذراع ابنها مقاومة الزحام حتى استقرت بجواره ، وقالت بصوت خفيض :
— الواد .. مزنوق .
ابتسم عواد للطفل وهو يمسح على شعره بحنان بالغ قائلا :
— اكلت ايه .. سرقت أكل اخوك ..
وقفت السيارة ، ونزلت السيدة وطفلها لتقف به على حافة الطريق عدة لحظات ثم تعود به باسمة متهللة ، وقالت لعواد :
— كتر خيرك .
امتدت ابتسامة عواد الى قسمات وجهه ثم مسح على شعر الطفل من جديد وهو ينصحه :
— أوعى تسرق أكل اخوك تاني .
لم يسأل الركاب عن سبب وقوف السيارة ، امر مألوف حدث لم يجذب اهتمام احدهم ، غير ان ما حدث هزني وسيطر على مشاعري ، بينما دارت عيناي بين ارجاء السيارة متصفحة وجوه الركاب ، كانوا على حالهم ، ملامح هادئة وثرثرة لا تنقطع ، واستقرت عيناي على عواد كان يدير عجلة القيادة في صبر بالغ بينما تحمل اساريره أيات السرور، كأنه في بداية الرحلة لا نهايتها ، لكن الذعر بدد سروره وتشنجت يداه فوق عجلة القيادة ، بينما السيارة تقف امام مشهد مروع ، السريع متصادم مع جزع شجرة كافور عاتية تحد ايسر الطريق ، مقدمته متهشمة وزجاجه متناثر على الاسفلت ، كانت السيارة مهشمة ومهجورة ، مد عواد رقبته من النافذة ليسأل رجلا يقف بجوارها متأملا : — حد مات ؟
— خمسة .. وعشرة مصابين ..
— والسواق ؟!
— بيموت .. شالوه خلصان ..
— يا ساتر يا رب .. يا ساتر من السرعة ..
تحركت السيارة من جديد ، عواد يستعيذ بالله ، والركاب يثرثرون حول الحادث مختلفين .. السواق مسطول .. السواق نام .. السواق مسرع .. والحاج سعيد يقول لعواد هاتفا :
— العبرة بالسواق !!
وصلت السيارة محطة المنصورة، والتفت عواد الى الركاب قائلا :
— حمدا لله على سلامتكم ..
نزلت من السيارة حاملا حقيبتي ... سرت على الطريق شاردا مشحونا بمشاعر شتى ، تمر من أمامي ومن جانبي سيارات متلاحقة، تشق طريقها وسط الناس ، تزحم الطريق بأصوات مختلفة ، لكن عواد كان يحتل مخيلتي طوال الطريق ، متوجا بأعجابي ، هادئا باسما ، يدير عجلة القيادة بصبر وجلد .. يلبي نداء فلاحة قلقة ويستجيب لطفل مزنوق .. وبين جنبات نفسي تتأرجح كلمات شتى :
— علشان خاطر العيل ده .. انا والدة جديد وما اقدرش امشي .. وأمي عيانه .. الواد مزنوق .. يا ساتر يا رب .. السواق مسطول .. السواق مسرع .. السواق بيموت .. شالوه خلصان .. العبرة بالسواق .

المنصورة — ج ٠ ع ٠ م ابرهيم ستيت

يا والدا

أبكيك حتى آخر الابد — يا والدا أغلى من الولد
يا صاحبا قد كان لي مددا — ففدوت بعدك دون ما مدد
يا صاحبا أغلى من الدنيا — وأحب عندي من ثرى بلدي
لو تاجر الارواح ساومني — لدفعت فيك حشاشة الكبد
لوهبت فيك بقية خفيت — من عمري المخبوء في الرصد
فعليك وحدك كان معتمدي — ورضاك وحدك كان معتقدي
وعليك وحدك طال بي حذري — لم يبق لي حذر على أحد !

يا صاحبا جما بمفرده — ليس الصحاب بكثرة العدد
وتخرمتك يد الردى عمدا — لتهد في بقية العمد
وتخطفتك سفينة مخرت — قلب العباب وقبة الزبد
غابت فعيني موجة سبحت — عن رحلة الريان لم تحد
فعجبت كيف الصبح مؤتلق — والليل .. كيف الليل لم يمد؟

جالدت فيك وجيعة عظمت — جلت عن الكتمان والجلد
وذرفت فيك دموع ساقية — دارت ولم تحفل بمنتقد
لم يبق في عيني مضطجع — للدمع كي يرقا ولا السهد
ولطالما استجديت ساكبة — عبر الضحى سكبا فلم تجد
تمل الدجى من طول ما هطلت — من لي بدمع آخر بفد !؟

الليل بعدك صار مقبرة — تفتات من روحي ومن جسدي
أنكرت صمتك حينما دهمت — فرأيت صمتك آية الرشد
وبمحجريك تلفت قلق — يتواتران كخفق مرتعد
ولأنت منه ذبالة خفقت — فوق الفراش صبيحة الاحد

سؤل الصغار عليك أرهقني — وحنينهم قد فت في عضدي
لم ادخر كذبا .. لعلهمو .. — هل ينطلي كذب على أحد ؟!
ان كان غادر أين مربعه — أو كان سافر فيم لم يعد ؟
فلمن ابوح ؟ وكنت منطلقي — فتشت بعدك عنك .. لم أجد
وبمن ألوذ ؟ وكنت مدخري — قومت من شعري ومن أودي
ولقد عهدتك خير متئد — فلما رحيلك غير متئد ؟

أبكيك حتى آخر الابد — يا والدا أغلى من الولد ..

القاهرة — فتحي سعيد

الاسكتولوجيا عند قدماء اليونان

بقلم الدكتور سامي سعيد الاحمد
استاذ الدراسات الشرقية في جامعة دنفر بأمريكا

* * *

نعني بالاسكتولوجيا (١) ما يعتقده الانسان عن الموت وما يسبقه من الترتيبات له والتهيوء اليه ويصحبه ويعقبه بالنسبة للمتوفي جسما وروحا مع كافة الطقوس التي تعمل عليه ، وهي بلا شك تختلف اختلافا كبيرا من قوم لقوم ودين لاخر وعصر عن عصر . فكان اليونان يرهبون الموت (ثناتوس) (٢) ودعوه بالاله الذي لا تفريه المادة وهو بنظرهم اخ النوم وصورة التراجيدي يوريديس كشخص في جبة غامقة اللون لا يفارقه سيفه . وكان اذا احس احدهم بدنو اجله تركلورثته وصية بما له وما عليه . وقد اتتنا الكثير من هذه الوصايا مذيلة بتواقيع الشهود الذين هم على الاكثر من اقارب الموصي او اصدقائه . ولم يجلس اليوناني لكتابة او املاء وصيته الا في ايامه الاخيرة وعند شعوره بقوة احتمال مفارقته هذه الدنيا وارتحاله عنها . وكانت وصيتهم في العادة تبدأ على الوجه التالي « هذه وصية فلان بن فلان عسى ان يكون كل شيء بخير واذا لم اشف من عاهتي هذه فاني امنح .... الخ » ومن ثم يذهب الى ذكر اسم من يريد ان يهب زوجته وحضانة اطفاله اليه والذي يكون بالعادة اعزب او ارمل وبدوره على الارجح يتزوج الارملة بعد مرور شهرين او اكثر من تاريخ وفاة الزوج . ويعطي الموصي ايضا مواصفات عن قبره وما يجب ان يكون عليه وتوصيات عن كيفية توزيع امواله واطيانه وربما يذكر اطلاق حرية قسم من عبيده او التضييق على حرية آخرين منهم (٣) .

ولأعطي صورة تامة للموضوع فسأتعرض الى ذكر الحالة فيكريت القديمة بهذا الخصوص لما بين الحضارتين من تلازم واشتباك تامين . فقد عثر في موقع سفونجارس الاثري بجزيرة كريت على قبور منحوتة من الصخور تعود لبداية العصر المانوي الثاني ٢٨٠٠ ــ ٢٥٠٠ ق.م. واخرى على هيئة بيوت بغرفة واحدة او غرف متعددة وتوابيت حجرية (لارناكس) . وفي نهاية العصر الذي اعقبه وحوالي سنة ٢٣٠٠ ق.م. صارت القبور اكثر ثراء وتميز غناها باحتوائها على حلي ذهبية ومزهريات جميلة النحت واختام . وفي القسم الشرقي من كريت كانت عظام الميت تنقل بعد مدة من الزمن الى بيوتات صغيرة معدة لها . وعرفت مدينة ميسارا منذ عصر مبكر بقبورها المدورة (ثولوس) التي يقال انها كانت مدافن لأسر برمتها وربما لفخذ عشيرة بأكمله ، وذهب البعض مغاليا الى القول بأن مئات بل الوفا من الجثث كانت تدفن في هذا النوع من القبور (٤) .

ولو ان الادلة على شعل النيران في المدافن كثيرة الا ان ليس هناك ثمة ما يبرهن بأن عادة حرق الموتى كانت معروفة في كريت . ولا نعرف الاسباب الحقيقية لاشعال تلك النيران بتلك الكميات الهائلة ، فربما كانت للاضاءة او للتخلص من الروائح التي تعقب تفسخ البدن او كما يفترض البعض لتبخير سائل الحياة من جسم الميت لتسهيل خروج الروح (٥) . وكانت الى جانب تلك المدافن المدورة منشآت صغيرة تحوي كؤوسا من الحجر والطين ربما كان الفرض منها استيداع ما يأتي به زوار القبر من النذور السائلة . والى جانب هذا كان البعض يضعون موتاهم في جرار كبيرة (بيثوس) تارة يدفنونها في الارض كما شوهد في مواقع باخياموس وسفونجارس الاثرية وتارة يحيطونها بالجدران من كافة جهاتها كما في آثار بودتي . وتارة كانوا يستعملون التوابيت الخشبية ولو ان بقايا تابوت من هذا النوع اكتشف سنة ١٩٥٢ ويعود بتاريخه الى حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. (٦) .

وقد اخذ البعض ذكر الالياذة والاوذيسة لتمتع راد مانثوس ام مانيوس ملك كريت بجنان الايلوسيوم مع أرواح الابطال دليلا على الاصل الكريتي للاعتقاد بهذه الجنان .

وقد زودتنا مدافن كريت بأبواق من الطين لا نعرف بالضبط ما كان يعتقده الناس فيها وبعلاقتها برحلة الميت الى العالم الثاني . وتلقي صور التابوت المكتشف في هاجيا ترايادا بكريت من حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م. أضواء على كثير من الاعتقادات الاسكوتولوجية آنذاك . فيرينا على جهتين من جهاته صورا من طقوس دفينة يشاهد في احداها ثور يضحى وتضحية تقدم امام فأس ذي رأسين وعليه طير ملون ربما يرمز لروح المتوفي . وصور اخرى تمثل مادة سائلة تصب في جرة كبيرة موضوعة هي ايضا بين فأس ذي رأسين . وصورة ثالثة تمثل الميت وهو يتسلم بعض المواد والتي منها حيوان وقارب ، والقارب ربما يشير الى اعتقاد الناس آنذاك بأن على الميت ان يعبر منطقة مائية للوصول الى عالم الاموات حيث وضع

(1) Eschatology.
(2) Euripides, Alcestis.
(3) W. S. Davis, A Day in old Athens, (New York, 1914) P. 84.
(4) S. Xanthoudides, The vaulted tombs of mesara, (London, 1924) p. 34.
(5) S.G. Brandon, Man and his destiny in the great Religions, (Tornto, 1962) pp. 154 ff.
(6) R.W. Hutchinson, Prehistoric Crete, (Baltimore, 1962) pp. 228 ff.

متأخرو اليونان جزائر المباركين وحدائق هسبرايديس (٧).

وفي مايسيني كان اكثر الاموات يدفنون وهم في أجمل حللهم وعليهم ما كان يظن الاحياء ان قد يحتاجون اليه في رحلتهم الطويلة من ادوات واسلحة . وكان وجه الميت يغطى بقطعة ذهبية خفيفة مما يدل على اعتقاد الناس آنذاك بنوع من الحياة بعد الموت لا نعرفه الان بالضبط وقد عثر في الكثير من القبور المايسينية على موازين صغيرة لا نعرف الفائدة منها والاعتقاد بها ولا نريد ان نجازف بالاستنتاج بانها كانت تستعمل كما في مصر القديمة لوزن حسنات المتوفي وسيئاته يوم الحساب امام الاله أوزيريس (٨) .

وتعتبر الالياذة والاوذيسة اللتان ربما كتب القسم الاكبر منهما او جمع من قبل الشاعر هوميروس في أوائل القرن التاسع ق.م. مصدرا مهما عن المعتقدات الاسكوتولوجية السائدة في العصر المايسيني . ونجد فيهما ان الانسان قد تصور مركبا من ثلاثة عناصر متلازمة هي الجسم والثيموس (ربما العقل او الضمير) والسايكي اي الروح . فأرواح الاموات في هاتين القصيدتين كانت شبيهة بالظلال والاشباح ولم تعف الالهة من ذلك الا روح الحكيم تايريسياس الذي اعطته الالهة برسيفون عقلا وبذلك كان الشخص الوحيد المتملك لشعوره في العالم الاخر والقادر على التفكير والتمييز . فالجسم والروح مرتبطان غاية الارتباط ولكن اذا ما غادرت الثانية صار الاول جثة هامدة . وقد يكون هذا الانفصال موقتا كما في حالة الاغماء والنوم او دائما كما في الموت . فعندما اتى المتوفي بتروكليس الى أكيليس في رواية الالياذة مد الثاني ذراعيه ليعانقه «ولكنه لم يتمكن من ان يمسك بشيء لان الروح كانت قد ذهبت مثل الدخان من على الارض . فصفق أكيليس في دهشة وقال انظر الان هناك شيء في عالم الاموات انها روح وشبح ولكنها ليست حياة حقيقية ابدا ، لان طوال الليل كانت روح باتروكليس التعسة الى جانبي ناحية باكية تخبرني ماذا يجب ان أقوم به » (٩) . فالاعتقاد كان بامكانية اتصال الميت بذويه واصدقائه وذلك بمجيئه اليهم في احلامهم .

ولا يمكن لروح الميت ان تدخل عالم الاموات (هيديس) الا اذا كانت طريقة الدفن صحيحة وكاملة والا فان روح الميت تظل حائمة غير مستقرة . فنقرأ في الالياذة استنجاد الميت المتروك بدون دفن باتروكليس بصديقه اكيليس ما نصه « تنام اكيليس وقد نسيتني ، فعندما كنت حيا لم تهملني ابدا ولكني ميت الان . ادفني بلا تأخير لكي امر من خلال ابواب عالم الاموات .. فانا الان احوم بدون هدف معين حول ابواب عالم الاموات الواسعة واعلم انني سوف لن اترك عالم الاموات اذا ما حصلت على حصتي من النار » (١٠) . ونعرف من الالياذة بأن أكيليس كان قد اصدر اوامره ساعة مقتل باتروكليس بتنظيف جسمه من الدم ومسحه بالزيت وملء جروحه بمرهم مرت على صنعه تسع سنوات . ومن ثم وضعوا الميت على مصطبة وكفنوه بالكتان الابيض من رأسه حتى قدميه وغطوه بقطعة كتانية بيضاء وبكى عليه اكيليس والمرموديون من سكان جنوب شاليا طوال الليل (١١) . وهذا الاعتناء الزائد بالجروح قد يشير الى الاعتقاد بأن روح الميت كانت تأخذ شكل الجسم ساعة موته . واذا ما دخلت الروح عالم الاموات فلا يمكن لها الخروج منه على الاطلاق (١٢) .

وهذا اوديسيوس يقابل ظل أمه انتيكليا في عالم الاموات ، وعندما حاول عبثا عناقها قال:« هل هو شبح ارسلته بارسيفون القوية لي حتى ابكي وانتحب ؟ » فأجابه شبح امه « ان هذه هي الطريقة الموعودة للاحياء عند موتهم ... والسنة النيران القوية تحطم العظام واللحم ، وما ان تفارق الحياة العظام البيضاء حتى تخرج الروح منها مثلها كمثل الحلم محومة ذهابا وايابا » (١٣) . واثناء تشييع جنازة باتروكليس قص المرميدونيون شعورهم وغطوا بها جسم المتوفي (١٤) . ويربط الاستاذ روز هذه بالعادة التي كانت شائعة في ان يترك الاولاد جزءا من شعورهم بدون قص يقدمونه الى الاله النهر عند بلوغهم (١٥) . وخلال حرق جثة باتروكليس قتل المشيعون الكثير من الماشية والاغنام واخرج اكيليس شحومها وغطى بها الجثة ووضعوا الى جانبها جرارا من العسل والدهن واحرقوا معها اربع خيول وكلبين وذبحوا أثني عشر ولدا من اولاد نبلاء طروادة . ويظهر ان كل هذه (عدا ذبح الاولاد الطرواديين) كانت لجلب الراحة والاستقرار للمتوفي في عالم الاموات خاصة الكلبين اللذين لم يكونا ليفارقا باتروكليس طيلة ايامه الاخيرة . اما ذبح الطرواديين فاما أن يدل على الانتقام او انهم ذبحوا ليصطحبوا المتوفي في رحلته ويأنسوا به كما يدل نص في نفس المصدر عندما انتقم دايفوبوس لممات اسيوس حيث قال « لا يمكن ان يكون اسيوس ملقى هنا غير منتقم له واعتقد انه سيكون مسرورا اذا ما ارسلت له من يصطحبه » (١٦) .

(7) J.D.S. Oendlebury, Archaeology of Crete, (New York, 1955).

(8) A. Aymard, et J. Auboyer, L'Orient et la Grece Antique, (Paris, 1957) pp. 228 ff.

(9) The Iliad, ed. W.H.D. Rose, (New York, 1960) Bk. 23, 267.

(10) ibid, Bk. 26, p. 266.

(11) ibid, Bk. 18, p. 222.

(12) Erwin Rohde, The Cult of souls and beliefs in immortality among the Greeks, (London, 1925) p. 24.

(13) The Odyssey, ed. E.V. Rieu, (Baltimore, 1959) pp. 254 ff.

(14) The Iliad, op. cit. Bk. 23, pp. 267 ff.

وقد تعرض البعض الى القول بـان الماسينيين (ومنهم باتروكليس واكيليس بالطبع) لم يكن قد شاعت بينهم عادة حرق الاموات وان المثل الوحيد للحرق بينهم كان ما اكتشفه بيليجن من جامعة سنسناتي بالولايات المتحدة في المدفن رقم ٤١ في بروسيمنا (١٧) . ويذهب الى القول بأن العادة كانت شائعة عند اهل طروادة واخذها عنهم المحاربون الماسينيون فالارواح تذهب الى عالم الاموات (هيديس) الواقع في اعماق الارض والتي على الاكثر هي نفسها تارتاروس ذات الابواب الحديدية التي ذكرت في الالياذة . وهيديس هذه لا يمكن مقارنتها بالنار في الديانات اليهودية – الزردشتية – المسيحية – والاسلام كما عمل البعض مطلقين على حدائق الالوسيوم اسم الجنة الفردوس ، فاذا كان كتاب الميت وهو الكتاب الحادي عشر من الاوذيسة ، قد ذكر تعذيب سيسيفوس وتيتيوس وتنتالوس فهذه برأي الكثيرين ما هي الا اضافات الحقت بالاوذيسة ومتأثرة بالفكرة الاورفية . وان الالهة كانت تنقل من تحبه جسما وروحا الى جنات الالوسيوم حيث يتمتع بالخلود ولا يذوق طعم الموت . فكل من يموت كان يذهب الى عالم الاموات (هيديس) مهما تكن منزلته ودرجته وتقواه .

ووضعت الاوذيسة مدخل عالم الاموات (هيديس) وساحته الخارجية على القسم الغربي من نهر اوشيانوس في الارض المقدسة عند برسيفون المكتظة بأشجار الصفصاف والحور . وقد صورت الكتابات الهومرية العالم السفلي تقطعه انهار كثيرة امثال ستسيكس واكيرون (نهر العذاب) وكوكيتوس (نهر النواح) وفليجيثون وفريفليجيثون (انهار النار) ويصبان في نهر الاكيرون ، وفي العصور التالية اضيف اليهما نهر آخر هو ليثة (نهر النسيان) حيث ينسى الموتى بعد الشرب منه اي شيء عن حياتهم الاولى . وصورت هذه الانهر تحيط بالعالم السفلي ومن ان هناك ملاحا اسمه كارون ابن اريبوس من زوجته نيكس وكان عبوسا طاعنا في السن يأخذ الارواح بقاربه عبر نهر اكيرون بعد ان يحضرهم الاله هرميس معطيا اياه اوبل واحد عن كل شخص ، ولهذا السبب كان اليونانيون يضعون بين اسنان موتاهم اوبلا وقد وجدت الكثير منها بين اسنان الجماجم التي عثر عليها في الحفريات . ولكارون مطلق الحرية برفض دخول البعض خاصة اولئك الذين لم تدفن اجسامهم كما يجب ، وعلى باب هيديس كان الكلب كربيروس ذو الرؤوس الثلاثة والذيل والشعر من الافاعي وهو فظ خشن لكل من يحاول الخروج بشوشا لكل قادم .

ولم يكن عالم الاموات هذا بالدنيا المرغوب فيها اطلاقا فاكيليس يقول مخاطبا اوديسيوس « سيدي اوديسيوس لا تمدح الموت .. ارجعني الى الحياة ثانية فأفضل ان اكون عبدا بسيطا في بيت فلاح فقير للغاية ليس لديه من القوت الا ما يكفيه من ان اكون ملكا على جميع الموتى في هيديس » (١٨) . فدفن الموتى واجب ومواراة التراب على الميت كان يعتبر ثوابا لا يدانيه ثواب ، خاصة اذا كان قد عثر على جثته صدفة ، وكثيرا ما كان الخطباء اليونانيون يوجهون النقد اللاذع الى اولئك الذين لم يهتموا بدفن اقربائهم. فسفوكليس صور لنا في احدى مسرحياته أنتيجون وهي ضاربة عرض الحائط جميع النتائج التي قد تترتب من اجل دفن جثة اخيها بولينايكس الذي امر ملك طيبة كريون ان تبقى بدون دفن (١٩) .

والموت في ساحات الوغى كان شرفا لا يدانيه شرف وطريقة الموت ونوعه هي التي تحدد ما اذا كان الشخص قد عاش حياة سعيدة . فعندما سأل كرويسيوس (قارون عند العرب) ملك ليديا صولون لان يذكر له من برايه كانوا اسعد الناس على وجه الارض فسمى له تللوس الاثيني لانه عاش سعيدا ومات في ساحة القتال . وعندما طلب منه كرويسيوس ان يذكر له اسم شخص ثان ذكر صولون كليوبس وبيتون اللذين بعد ان حصلا على جوائز الاسبقية في سباق رياضي ذهبا في عربة الى المعبد وسط هتاف الجماهير ، وفي اليوم التالي وجدا مفارقين الحياة اثناء نومهما بمعبد الالهة هيرا ، فلا يمكن ان يحكم على شخص ، على حد قول صولون لكرويسوس، بأنه قد عاش بسعادة على هذه الارض ما لم تكن حالة موته معلومة لدى الكل (٢٠) .

والتشييع الفخم كان من الامور التي يتمناها اليونانيون لموتاهم . وكانوا يحرقون مع الموتى عند حرق جثثهم الكثير من المواد الباهظة الثمن . وكانت قوانين الدول اليونانية تضع تحديدات على الكميات التي يجب ان تصرف على التشييع والدفن . وفي حالة الدفن التي كانت اكثر شيوعا ففي اللحظة التي يفارق بها الميت الحياة يحضر اقاربه وهم في لباس الحزن وكان عادة اسود او غامق اللون محلقين شعور رؤوسهم حتى نساء الميت وخدمه ان لم يكن المتوفي قد اوصى بأن لا يفعل ذلك ساعة وفاته . ومن ثم تغسل جثة الميت وتمسح بالعطور وتخلع عليها حلة جميلة بيضاء . وقد حددت قوانين صولون عدد الحلل التي تدفن مع المتوفي (٢١) . ويضعون على راسه تاجا من ورق العشب وتوضع الجثة في ساحة الدار ووجهها نحو الباب لكي يحييها القادمون.

(15) ibid, p. 268 ff.
(16) ibid, Bk. 13, p. 156.
(17) A. J. Wace and H. Stubbings, A Companion to Homer, (London, 1962) pp. 485-488.
(18) The Odyssey, op. cit. Bk. XI, p. 184.
(19) Sophocles, Antigone.
(20) Plutarch, The Lives of the Noble Grecians and Romans, (New York, 1932) pp. 113-114.

وفي مقدمة الباب يضع اهل الميت جرة ماء كبيرة ان كان متوفاهم قد مات موتة طبيعية يأخذ منه الزائر قليلا للاغتسال به بعدئذ . اما اذا كان الميت قد توفي مقتولا فيضع اهله عند الباب رمحا مشيرين الى انهم سوف يثأرون له ، ويحمل الرمح معه عند تشييعه ويركز قرب القبر مدة ثلاثة ايام ويراقبه اقارب الميت ، والى جانب الجثة المعروضة يضع أهل الميت جرارا ملونة متعددة تدفن معه .

ويبدو من القوانين اليونانية والصور والنقوش بأن اليونانيين كانوا عاطفيين حقا . فقوانين صولون شرعت الكثير من المواد ضد الاذى الذي قد يلحقه اهل الميت بأنفسهم . ولكن الارملة واقارب الميت الاقربين كانوا بالرغم من ذلك يضربون صدورهم ويخدشون ويجزون شعورهم ويعفرون رؤوسهم بالتراب ، وبالوقت ذاته كانوا يستأجرون النادبات للقيام بالنواح والبكاء على المتوفي .

وبعد عرض جثة الميت والبكاء عليها تشيع الجنازة وكان اليونانيون يؤثرون التعجيل في دفن الجثة او حرقها . وحتى في ساحات القتال كان المنتصر يتيح لعدوه فرصة ليدفن خلالها الموتى من جنوده . وكان من واجبات اميرال البحرية الاساسية عند القتال ارسال من يفتش عن جثث الغرقى من بحارته ودفنهم . وكان الدفن في غالب الاحيان في الصباح الباكر ويحمل الجثمان الاكثر حداثة وقوة من اقارب الميت واصدقائه وربما يستأجرون عربة لذلك . وكانوا يضعون في يد المتوفي كمكة عسل وتحت رأسه قارورة من الزيت . ويسير امام الجثمان في التشييع الارملة وزوجها المتوقع وخلفه من يزيد سنها على الستين من النساء الا من كانت تمت بصلة القربى للميت . وظلت عادات الحرق والدفن تسير جنبا الى جنب في بلاد اليونان ولو ان القتلى في ساحات القتال كانوا يدفنون بتشييع فخم . واهالي كل من اسبارطة وسكونيا كانوا اكثر ولوعا بالدفن .

وفي حالة الحرق توضع الجثة على الخشب المعطر وتحرق معه بعض الحيوانات والعبيد كما رأينا عند حرق باتروكليس ، وتحاط الجثة بأقارب الميت وتحرق وسط عزف لاعب الناي ورش العطور على السنة النيران وترديد اسم المتوفي ثلاث مرات . وبعد اكتمال الحرق تطفيء النار بالخمر ويجمع الاقارب الرماد ويضعونه في جرة وكانت التوابيت في الغالب من الخشب خاصة الساج الذي تفننوا بزخرفته واحيانا كانوا يعملون التوابيت من الطين والحجر . وحتى اشكال التوابيت كانت تختلف فمنها البيضوي والمدبب الخ . .

وكانت المقابر خارج المدن وكان الاثينيون يدفنون موتاهم بادىء الامر في بيوتهم ولكن العادة منعت اخيرا ولم يسمح بالدفن داخل حدود البلدة . وتخبرنا المصادر اليونانية ان ليكورغوس قد سمح لاهالي اسبارطة بدفن موتاهم في مدينتهم وكذلك كانت العادة في ميغارا . وكانت المدافن مشيدة على الطرق العامة ومداخل المدن . وفي القرن السابع ق.م. يظهر ان اهالي أثينا قد أحيوا العادة القديمة التي نقرأ عنها في الاشعار الهومرية من دفن الموتى مع انواع من الاوعية وشرائط من الذهب . ولكن في الايام الاخيرة استبدلوا كل هذه بجرار بيضاء صغيرة جميلة الصنع لوضع الزيت تسمى (أكيثوي) . ومنعت قوانين صولون البذخ الزائد عند تشييد القبور ومنعت بناء قبر يشيد في اكثر من ثلاثة ايام من قبل اكثر من عشرة عمال . وحدد دمتريوس ارتفاع القبر بثلاثة أذرع كحد أعلى .

وفي اوائل القرن السادس ق.م. صار وضع لوحات مسطحة على القبر اكثر شيوعا اما بناء الاعمدة والمصاطب والمباني الشبيهة بمعابد مصغرة والتوابيت الكبيرة المنحوتة (ساركوفاكي) فتعود الى عصر الاسكندر الكبير . وما بعده وفي منطقة ليشيا (في آسيا الصغرى بين كاديا وبامفليا) عثر السير سي. فيلوز على مدافن يونانية في غاية الروعة والجمال والتفنن في الصنع . وكانوا يكتبون على لوحات القبور اسم المتوفى وقبيلته واحيانا لمحة عن حياته او ينحتون صورا من حياته العائلية او المهنية (٢٢) .

واحيانا كانت تلقى خطب مطولة في مدح الميت وتعداد مناقبه وقد أمر صولون بأن تقتصر مثل هذه على اولئك الذين يدفنون بتشييع رسمي . وفي العصر البطولي كان تشييع الميت البطل مصحوبا بسباق في الالعاب ولكنه سقط عن الاستعمال في العصور التاريخية التالية . ومن الوجهة الشرعية فان جميع الاشخاص الذين اشتركوا في التشييع او القوا النظرة الاخيرة على الميت يعتبرون ملوثين غير طاهرين لا يحق لهم دخول المعابد الا بعد اغتسالهم . ثم يقيم اقارب الميت بعد الدفن مباشرة حفلة عزاء في بيت اقرب الناس له ونرى مثل هذه الحفلات العزائية مصورة في المنحوتات والنقوش . . وفي احدى زوايا المنزل كانوا كثيرا ما يضعون رأس حصان رمزا للموت كسفرة طويلة . وبعد مرور ثلاثة وتسعة ايام يذهب اقارب الميت الاقربون الى القبر ويضعون النذور المؤلفة من الحليب والعسل والخمر والاضاحي الحيوانية

(21) ibid, Solon, pp. 97 ff.
(22) H. Blummer, The Home life of the Ancient Greeks, (New York, 1926) pp. 263 ff.
(23) Brandon, op. cit.

(24) Hesiod, Theogony, 721.
(25) Ovid, Metamorphosis, IV, 456.
(26) Pindar, Olympians, 1, 56.
(27) ibid, 1, 60.

ويوزعونها . وفي ايام معينة من السنة يزور اقــارب المتوفي واصدقاؤهم القبر ويضعون عليه باقات مــن الزهور ويوزعون الاضاحي .

وكانت القوانين تحظر دفن المجرمــين في المقابر العامة وفي اثينا واسبارطة كانت هناك محلات خاصة توضع فيها جثث امثال هؤلاء ، اما المنتحر فكانوا يسمحون بدفن جثته في المقابر العامة شريطة ان تقطع اليــد التــي انتحر فيها وتدفن منفصلة . اما جثة من يموت بالصواعق فتدفن في الموضع الذي فارقت الحياة فيه وكانت تعتبر ذات قدسية وحرمة واعتقد اليونانيون في كافة عصورهم بأن الابطال الذين صرعوا في ساحات الشرف او حتــى الذين ماتوا منهم على فرشهم احياء يرزقون متخذيــن قبورهم بيوتا لهم ويعرفون كل صغيرة وكبيرة عن احوال العالم وامور الناس وحتى انهم يتدخلون فيها . وفي عيد الانثستريا الاثيني الذي يحتفل به كل ربيع كانت ارواح الموتى فيه حسب اعتقادهم تزور بيوتها السابقة وتبقى فيها طوال النهار .

وقد افترضت الفكرة الاورفية خلود الروح بعــد تحررها من سلسلة الموت ثم الحياة فالموت ثانية وبعــده الحياة مجددا الخ .. والمرحلة النهائية من هذه السلسلة الطويلة قد مثلت في الكثير من الالواح التي وجدت علــى القبور في جنوب ايطاليا وكريت ونرى في أكثريتها نصيحة للميت على الوجه التالي « وسوف تجد الى يسارك فــي دار الاموات عين ماء والى جانب شجرة صنوبر بيضاء . لا تقترب من عين الماء بل ستجد اخرى اكبر منها هــي بحيرة الذكريات التي يجري فيها ماء بارد وهي محروسة فقل لحراسها انا طفل الارض والسماء ذات النجوم اكــاد اموت عطشا اعطني حالا من الماء البارد الخارج من بحيرة الذكريات ولكنهم سوف يسقونك من العين المقدســـة وبعدها سيكون مقرك مع الابطال » (٢٣) .

اما الاعتقاد بتناسخ الارواح فقد كــان موجـودا فامبيدوكليس (٤٩٣ ـ ٤٣٣ ق.م.) حسب ما يقــال اعتقد بأن الروح تمر في سلسلة من الحالات الحلولية وحتى انه قال عن نفسه مرة « الى حد هذا الوقت فقد كنت ولدا ، نبتا ، عشبا ، طيرا وسمكة بحر بليدة » . ويظهر ان تناسخ الارواح كان شائعا الى زمن هيردوتس الــذي يذكره ويعزى اصله الى مصر . ولكنا كما نعرف لم يعتقد المصريون بتناسخ الارواح على هذه الشاكلة التــي هــي اقرب في الاصل الى الهندوسية .

وتذكر لنا الاساطير والمصادر اليونانية الكثير عــن العذاب الذي لاقاه الكثيرون في دار الاموات ونبذه عــن انواع هذه التعاذيب واسبابها أراه من الاهمية بمكان . فسيسيفوس قد عذبته الالهة في عالم الاموات عذابــا شديدا وكان عليه ان يرفع قطعة كبيرة من المرمر على جبل عال وما ان تصل الى قمة الجبل حتى تتدحرج ثانية الــى الوادي وعليه ان يدفعها ثانية وهلم جرا . واسباب انزال الالهة العقوبة به قد اختلفت اسبابها باختلاف المصــادر فهناك من يعزو سببها الى خيانة سيسيفوس لقــرارات الالهة واخرون الى فتكه بالمسافرين وقتله اياهم . واخرون الى خيانته لاسوبوس عندما خطف زوس ابنته ايجينا . ومنهم من يجعل امره لزوجته بعدم دفنه سببا حيث انه شكاها للالهة العظام بعد ان طبقت وصيته فاعادته الــى العالم العلوي لمعاقبة زوجته ثم رفض الرجوع لولا اجبار هرميس له وارجاعه اياه بالقوة (٢٤) .

اما تنتالوس فقد وضعته الالهة في بحيرة ماء محاطا بأشجار الفاكهة ولكنه لا يتمكن من الاكل او الشرب وهــو يكاد يموت عطشا وجوعا (٢٥) . وهناك من يذكر ان الالهة وضعت فوق رأسه صخرة كبيرة كانت تتراءى له وهــي على وشك السقوط عليه . اما اسباب العقوبة فتختلف بها الاساطير والمصادر فمنهم من يذكر انها تعود الــى افشائه اسرار زوس التي ذكرها اليه (٢٦) واخرون يذكرون قتله ابنه بيلوبس وتقطيعه اوصاله وطبخه اياها ومن ثــم تقديمها الى الالهة عند دعوته لهم . (٢٧) وهناك من يعزو السبب الى انكاره تسلم الكلب الذهبي الذي وضعته ريــا لحراسة زوس ومربيته في كريت بعد ان سرقه بانداريوس وسلمه اليــه .

اما تينيوس المارد فقد عاقبته الالهة بأن جعلت يديه ورجليه مفتوحة بحيث غطت تسعة أكــرات مــن الارض وسلطت عليه نسرين وقيل حيتين لأكل كبده . امــا سبب عقابه فهو محاولته محاربة أرتميس عند مرورهــا بايعاز من الالهة هيرا . فأذى الالهة مهما يكن نوعه وقطع الطريق العام على المسافرين من الناس هما الجريمتــان الوحيدتان في كل هذه العقوبات .

سامي سعيد الاحمد

جامعة دنفر ـ امريكا

يوميات حرات ... في حقول الحزن

ليست قريبة ولا بعيدة تلك الاشكال التي تجول وقد لبست في الروح طابع التشرد ... « لؤي »

بقلم لؤي فؤاد الاسعد

* * *

طفت في الغرفة طائرا يتيما بعد رحلة طويلة مع الضياع والحزن ، امتنعت عن التفكير بكل ما يحجبك عني ، بمعنى انني هربت اليك مع صمتي ، وقربت ثواني فصل الخريف الماضي مني لاسبح في عالم ابتسامة ما زالت تضوي بفرحها القصير عالم الروح .

توقفت مقابل الجدار الذي كتبت عليه بعض العبارات الشعرية، وعندما فرغت من قراءة الكلمات مررت بأصابعي على شعرك في اللوحة التي رسمتها لك في الشتاء ، وقلت (الحزن وجه آخر للغربة) ، وعاودت الهروب نحوك . تحول الزمان والمكان الى وجه «قوقازي» لا يحمل الا ملامحك ، نسيت من أكون انا ، وقد تحول صوتك في عزلتي الى سنفونيا صامتة .. تحولت الاشياء في داخلي الى عاصفة من الكلمات ، كل حرف يكتسي بلون زهرة تشرينية تأتي من البحر . وحبست نفسي في لحظات من مساء يوم صيفي فائت طائرا نادرا جميلا لا يبني عشه الا في الحلم .

كان وجهك يشع في مسام جدران الغرفة ، كنت حضوري الوحيد الذي يكسب وقتي حلاوة العيش ، عاودت الهجرة اليك في صمتي ، ومن بين كلماتي عن الحب ، كانت زهرة « قوقازية » .. هي انت تطل برأسها من الحروف لتدلني عليك .

وفي غمرة المشاعر الغريبة كتبت قصيدة « زاوية الحزن » تمنيت ان يكون كل شيء صافيا بيننا ، كماء الشرب لاقرأ لك ما كتبته عنك في أشعاري ، وبدأت اسمع اصوات صمتك تأتيني .. تخترق الجدران عبر الظلمة الي ، ووجهك يتربع اميرا للمكان والزمان الذي هو أنت .

سافرْت فيك ، وحملت معنى توهجك في دمي ، لابعد عنك الخوف من الحب . (شتاء ١٩٦٨) .

★

كان الحزن معي عندما توقفت قربك دون ان اراك .. كان كل واحد منا لا يحس بوجود الاخر ، حتى صحا نظري اليك وتنبهنا الى بعض ، فشعرت بكثير من الحرج لهذه الفجاءة التي أحاطتنا بأمرها الواقع . ومع ذلك كانت تصرفاتك التي قصدتني غالبا ما أثارت بي تساؤلات حولك . ماذا تفيد هذه النظرات طالما قررنا ان نقف خارج حدودها ونسطع باللامبالاة .

الكثير من العادات تتغير بارادتنا دون ان يبدي القلب رأيه فيها او يفرض شيئا .

ـ كنت سعيدة بعض الشيء لانك رايتني . هكذا بدا لي .

كنت حزينا بفعل خارج عن الحب ، ولكنني لما رايتك ازداد الحزن لانه رغم اقترابنا .. كنا بعيدين عن بعضنا .

ـ كنت كالحمامة التي يدهمها البرد بظلمه وهي في العراء ، وكانت نظراتك تبحث عني .

كنت حزينا بفعل خارج عن الحب ، احسست بهذا النهر الصغير الدافيء يتدفق من عينيك في داخلي نادما، ورائعا بكبريائه . نظرت الي ، تحولت نظراتك الى نمل يدغدغ وجهي بلذة . واحدة من رفيقاتك نظرت نحوي، فاصطنعت شيئا حدثت صديقي به .

لا اريد ان يشعر احد انني اتكلم معك حتى في صمتي ، كنت ابتسم طوال الوقت بهدوء رغم حزني ومع هذا عندما وجدتك قربي تنتظرين «الاوتوبيس» احسست بملاحقة عينيك لي ، فلما تقدم الباص كنت اشعر انك تنتظرينني ان اتقدم معك ، ولكني تركتك تصعدين وبقيت وحزني . موجة من الكآبة شعرت بها بعد ما ذهبت تدخل من النافذة التي انفتحت في داخلي قبل قليل لتحتل بقدومها الغامض مكان الفرح الذي احدثته تصرفاتك ، الا انني قلت في نفسي وانا اصعد «اوتوبيسا» آخر . لم يكن شعرها على تسريحته القديمة كشلال من ليل خرنوبي مسدول على كتفيها ، لم تفعل بي سوى انها تركت الاشياء الجميلة تترك مكانها وتهاجر ونسيت كل ما كان يحدث في داخلي من تناقضات تجاهك . شعرك وحده تركني اتابع السفر في الحزن . (شتاء ١٩٦٨) .

★

احب ان اطفيء النور في البيت ، أجلس قرب المدفأة واستمع الى الموسيقى . لغة الالحان تحرق الاعشاب الضارة في النفس وتحول الحقول ذات الهشيم اليابس .. الى ربيع آخر يسكن زهوره الحب ويسحر الناس الى فراشات ومخلوقات جميلة ، اشبه بالطيور والاسماك العاشقة .

في هذه العتمة الموغلة في سفرها لا أرى نفسي ، الاشياء وحدها تحلق في المكان .. داخله وخارجه والعيون المسافرة في غيّابها تقرأ اشكالها الفريدة وتنفعل بها ، وفي كل مرة يتغير العالم الذي أراه وتبهرني الوان طبيعته المدهشة وتسحرني .

البارحة وانا ادخل الى البيت ، احببت ان يبقى النور مخنوقا داخل اسلاكه الناقلة للتيار ، كي لا أجرح بتصرف الضوء صور الاشياء المتراكمة في نفسي التي كانت ترافقني وانت معي في الشوارع الخالية من الناس والثلوج المتساقط والرموز التي تسكنني .

وجهك وحده الغابة الوحيدة التي تنمو فيها ثمار اشعاري ، ويصبح القمر فيه بلون العنبر .

وهو الفرح الذي يدخل الحزن ويبدد الثلوج التي تتحول في داخلي احيانا الى سياجات من شجر الصبار .

هذا الوجه وحده عطر غابات لا تتفتح زهورها المجهولة الا في الليل ، والقلب يصغي الى الموسيقى التي تنشف عرق الحزن في الروح . (شتاء ١٩٦٨) .

★

رفعت نظري عن كلمات « ادونيس » (في المسرح والمرايا) الذي كنت اتأمل اشكال غرابته المحببة فيها .. وانا اسرح ببصري خلف واجهة زجاج المقهى في الشارع الشرقي المواجه. دفقة خضراء من الريح كانت واقفة تحت مظلة الانتظار في محطة « الاوتوبيس » مع البرد ، تبعث بنظرها الي هي أنت . لحظة واحدة تكفي لكي ينسحر وجود الشاعر الصديق ويبقى شكلك الوحيد يغطي مراياه ويصبح كل شيء في نفسي هو ملكا لريحك الحاضرة ، لحظة تكفي لكي يعصف شكلك الخاص الاخضر بحزني .. يلونه ويعطيه شيئا من سحره بعد ان تبددت خيالات الاشياء الشعرية فترة من الزمن .. وحيث انك تنظرين الي اتسع اخضرارك في نفسي . وجهك هذه المساحة الغريبة من الحب دلني الى ضياعك .

لا يهمني انتظارك « للاوتوبيس » بقدر ما تهمني تلفتاتك الملهوفة التي أتت بك الى هنا وتركتك كعصفورة وسط الشتاء محاصرة بالبرد . والمطر . والحزن ..

فلو لم يكن حدث ما تسببت فيه ، لكنت شجرتك وكنت اوراقي في جميع الفصول ، ومع ذلك احبك هكذا حزينة .

هكذا مبللة بمطر اشواقك ، ومعطرة بالحنين . احبك ما زلت ، ولكني عندما اذكر كلماتك التي فتحت شقا في جدار ايامي يحتويني أسى اسطوري اضيع فيه .

المهم انك مررت، وتوقفت. وان عينيك كانتا تبحثان عنك في عيني ووجهي ، وانت تسرحين في الامتار القليلة التي تفصلك عن واجهة الزجاج للمقهى عبر الشارع . تجتازين مسافة ينقل نظرك فيها الى نفسك احتمالات ما يحدث في وجهي من تأثيرات تفسرينها كما تريدين ، نظرت اليك وانت واقفة كالعصفورة الحزينة اصغي الى ما يقوله الصمت فيعينيك، في وجهك القوقازي المسافر ، وانا اجمع ندمك وحبك اللذين تسمرا امامي شجرة حزن تفرط اوراقها اصابع الريح . توقف « الاوتوبيس » صعدت ، تظاهرت ان نظرك لن يرفرف بأجنحته حولي . وانا اعلم بأن كبرياءك الحزين سيوصلك الى البيت شقية . وعندما خطفتنا المسافات وابعدتنا كنت اعيد ما رأيته في تصرفاتك من اشياء اجبرتني ان انحبس في مدى عالمها المقفل ، وارتضي بعصفورة احبها ، تنقر قليلا قليلا باب القلب لكي افتح . (اواخر شتاء ١٩٦٨) .

★

يمتلكني وجهك الذي رأيته ظهيرة الاحاد الفائتة . تمتلكينني بتصرفاتك الطفولية . وبابتسامتك تدخلين عالم الروح المغطى بازهار الشعر والحب ، والحزن .. صوتك نافذة . ما زال صوتك نافذة على المساء . وحدي اطل منها على غابات الحنين النادرة .. عندما احبك في مثل ذلك اليوم ظهرا او مساء .

تمتلكينني وتحبسينني في ثواني وجهك الذي رأيته يوم اول البارحة . كان ما يشبه مزيجا من الندم ، والحزن وقد دخلت بلاد احاسيسك وتجولت فيها وانا في طريقي اليك . (ربيع ١٩٦٨) .

لم أرك منذ أيام . ما أصعب الايام التي لا المح فيها وجهك المشمس ، ما اطول ساعات الحزن بدونك . (ربيع ١٩٦٨) .

★

المصادفات التي كانت تلقي بذهن كلمنا التساؤلات، وترش شارات الاستفهام في نفسينا حين نلتقي ببعضنا في شوارع حلب ، كانت لا تخرج عن دائرة عاديتها الى الغرابة الا قليلا . اما الان وانا في بيروت كيف استطيع ان اسمي ما حدث معي من غرابة تخرج من دائرتها الى العجيب .

كانت ظهيرة البارحة قمرا من السأم يسطع في قرى صمتي وانا بالشرفة في بيت احد الاصدقاء المطلة على بعض اشجار البلح والبحر ، فتاة ما .. باتجاهي تقريبا يفض شعرها بشحوب الشمس عند المساء ، تنظر نحوي . حتى الشمس كانت كئيبة .

ظهيرة السأم ، حارة بالفعل ، وباردة وانا في يوم ٢٩ آب في شرفة تطل على اشجار قليلة من البلح قرب البحر ، وفتاة ما .. تبدو بتصرفاتها رائعة .

على ان شعوري بالقرف والتمزق دون ما مبرر كانا يدفعاني لان اترك بيت الصديق وامضي باتجاه الكورنيش الى اللاهدف . لحظات من التفكير .. افتح بعدها الباب وامضي ، ويسرع الصديق ليقول السادسة مساء في مقهى « اولدورادو » . ومضيت تبتلعني الخطوات الى اللاهدف . كان الشاطىء طفلا رائعا ذلك الوقت . ولا نورس واحد يحوم فوق البحر يحمل احزان الشاعر ليلقي بها طعاما للسمك . الشتاء هنالك وهجرة النوارس

ما زالت بعيدة . وكان الضياع والقرف يلتقيان بعضهما في صمتي . مر الزمن مسرعا نحو السادسة في الـ « الدورادو » وقادتني قدماي الى طاولة الصديق ، خلف واجهة الزجاج النقية الواسعة .

اهلا قالها واشار بيده معرفا «المودموازيل» « ش » خطيبتي وشقيقتها « ع » وانا احيي اخذت مكاني ، وقد دار العالم دورة سريعة في رأسي . لم أتمكن من النظر الى الانسة التي هي امامي عندما قرع اسمك باب نسياني وجعلني اسقط في الفجاءة والدهشة . كانت ملامحك بكل ما في وجهك المنمش من غرابة تجلس ببساطة قبالتي وشعرك المسدول غابات شجر الخرنوب الليلي ، كل هذا تركني اغيب لوقت في تساؤلات لم اجد لها تفسيرا ، وانا بعيد عن تلك المصادفات التي كانت تتركنا نلتقي اكثر الاحيان في الطريق ونحن في مدينتنا بالشمال .

الغرابة هذه المرة تلبس جلد الصدف العجيبة وتتغطى بالسحر ، من المذهل أن تحملك الريح الى هذا المكان والا يملأ وجهك نوع من الغضب الحلو المغسول بالندم والحزن .. حتى لو ادت بك التناقضات الى ترك المقهى تحت ضغط الانفعالات .

ادرت ظهري الى صوت التساؤلات التي القت بي فترة وسط ضباب من الغرابة ، حقا انك لست هنا ، لكن الفتاة التي تفاجأت بها كانت تأخذ عنك كثيرا من الاشياء التي تركتني امام السعادة والحزن مرة واحدة ، وقد رفعت رأسي باتجاه وجهها المنمش الذي هو لك والذي انصبت منه الاسئلة الصامتة في داخلي . ومع ان خلفيتك اضاءت فجأة امامي غير اني بقيت اشبه بسحابة لا تمطر الا شرودا على زجاج مقهى الـ «الدورادو» مساء يوم بالنسبة لشاعر مثلي كان ماضيه يخرج عاشقا من البحر ..

اعتقد ان اسم الاستاذ ليس بغريب عني ، قالتها بلهجتها البيروتية الناعمة .

وردة صغيرة تفتحت عن ابتسامة من بين شفتي .. حين لم اجد جوابا لكلماتها .. وقد شعرت انني بابتسامتي استطعت ان افعل شيئا بنفسها . ومع ذلك بقيت وسط شاعرية الضباب اللامرئي الذي احاطني .

ــ اعتقد انني قرات لك في احدى صحف بيروت قبل عام قصيدة ، آخر عنوانها كلمة ... حزينة .. الحزينة .

ــ قلت لها (الساعة الحزينة) .

ــ بالفعل لقد اعجبتني القصيدة لدرجة احسست بها انها مكتوبة لي .

ــ شكرا ، هذا اطراء رائع بالنسبة لهذه اللحظة .

ابتسم الصديق وشقيقتها معا ، اما انا سكنتني غرابة الاشياء ، والوقت الذي كتبت فيه تلك القصيدة . عاودني الحوار الذي قلت لك فيه مرة .. سأقول لك شيئا ربما سيكون نهائيا هذه المرة .

ــ قلت لي ما هو هذا الشيء النهائي .

ــ سأقول لك آخر قصيدة كتبتها .

ــ ولكني لا احب الشعر .

ــ ليس هناك من لا يحب الشعر في العالم ، وطاف في نفسي نهر شفاف تساقطت فوقه كل اوراق الايام من شجرة الحاضر ــ عبر اسلاك الهاتف .. تماما كما حصل معي الان وانا تسكنني المفاجأة على طاولة في الـ (الدورادو) وقد كانت فتاة لا تختلف عنك بالشكل سوى انها من « بيروت » .. لا ادري كيف ساقتني رياح المصادفةاليها بينماانت تفوحين بعطورغرابتك «القوقازية» وتسكنين حتى في وجوه الاخريات وتصرفاتهن ، في وقت نعلم تماما اننا فيه مقذوفون في فراغ البعاد ، كحجرين عكسي اتجاههما ..

ان يدي تحلم بك الان ، وصمتي يقطع المسافات لينبهك الى حزنه الملقى على شاطىء البحر ... رياحا شمالية في بيروت . (اوائل خريف ١٩٦٨) .

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

الى وليد حوراني

•

وليد ما اطيب اللقيا على وتر
عند العشايا وشمل الصحب مجتمع
تسلسل النغمات الغر صافية
يا طيب كفيك ، ما تعطي وما تدع
انامل رفرفت فوق « البيان » كما
فراشة للشذا تدنو وترتفع
حملت لبنان للآفاق اغنية
وطرت فيها الى الدنيا وما تسع
عزفت والخمس لم تبلغ نهايتها
وكنت في من رأوك الامس واستمعوا
أصالة في اكتناه الفن باكرة
سلمت للفن ما تسمو وتبتدع

وديع ديب

أربع اغنيات للحب والفراق

١ ـ رماد الذكرى

منيت القلب ولم تاتي
مرات ... مرات شتى
فأرحت فؤادي باليأس
قلبي ما عاد يكبله حلم لقائك ...
يطويني بالليل وينشرني في الاصباح
ما عاد خيالي يأسره طيفك يتبعه أنى راح
عادت لي نسمات الحرية ،
صوتك ذاك النغم المسحور
الموقظ في نفسي آلاف الاحلام
لا أرغب ان اسمعه
طيفك ذاك القادم من خلف الابعاد
لا ارجو ان استرجعه
ساظل أعيش
تتدلى داخل نفسي تفاحة حزن سوداء
ورماد الذكرى
باق بعد ان انطفات نيران الحب
لكني وانا اخرج من عالمك المسحور
سأحاول ان اتخلص من كل قيودك
حتى من قيد الاحزان .

٢ ـ حنين الى العودة

نضجت تفاحة احزاني السوداء
لكن لم تسقط
ظلت عالقة في نفسي
ورماد الذكرى
ظهرت فيه شرارة
لفحتها الريح
فاشتعلت نيران الاشواق
وقيود غرامك شدتني ..
لم تتركني اتحرر منها
وبرغم هروبي
ومحاولتي ألا ارجع للجنة
من فوق طريق عذاب
نمت الاشواق الى العودة
وظللت اتوق ليوم لقاك
ما زلت اتوق ليوم لقاك .

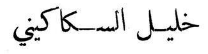
٣ ـ في ليلة حزينة

وتلاقينا
وعلمت بانك نازحة لمكان ناء
مع الف يطوي خصرك بحنان يديه
في عش وردي دافيء
في تلك اللحظة
انخلعت كل جذور كانت تمسكني
بتراب العالم
وتفرقنا
سرت شمالا ومضيت انا جهة يمين
وبرغم زحام الشارع وضجيجه
كان شعوري بالوحدة يضنيني
كنت أنا التائه في درب بالصحراء
لا يعرف هل يقترب من العمران
أم يمضي نحو متاهات الاقفار
وتمر الساعات بطيئة
كل دقيقة
ليست الا الما من آلامي يتبع ألما
والحيرة ما زالت تعصرني ... !
هل اسدل خلف الماضي استارا سوداء ؟
أم اترك احلامي الوردية تنمو في نفسي ؟

٤ ـ وانهار الصرح

صرح الاحلام أقمت ذراه
وجعلت اللبنات به شوقي ودموعي
وسهرت الليلات اطوف بساحته الاسطورية
لكن الصرح انهار
لم يبق مكان الصرح غير ركام وغبار
ما أقسى ان تنهار صروح الاحلام
ما أقسى ان تنهار

القاهرة　　　سامي عبدالعزيز الكومي



بمناسبة مرور ١٥ عاما على وفاته

بقلم حمودة زلوم

* * *

خلال سنوات اربع ، وشغلي الشاغل ، الاديب ، المربي ، الانسان ، خليل السكاكيني ، وكم اصابتني الدهشة والحيرة ، لانني لم ار احدا من الكتاب والباحثين ، من اعطاه من وقته ، ولو يسيرا ، فقد اغفله مؤرخو الادب ، وباحثو التربية ، ومن ذكره ، ذكره لماما وتحفظا ، فوجدت انه من الانصاف ان انفض عنه غبار النسيان ، واميط اللثام عن هذا الالمعي ، الذي يعد بحق من رواد النهضة الادبية والتربوية في عالمنا العربي ، فأثاره وحياته تشهد برجولته ، وعظمته ، وعبقريته ، وقد شهد له كل من عرفه بذلك ، وان كان في سطور معدودة .

من اليوم ، يجب ان نفتش معا ، عن مكان نضعه فيه ، ويجب ان يكون في الصدارة مع الاعلام العظام ، الذين جبلت اصابعهم نهضتنا ، وقطفنا ـ نحن ابناء هذا الجيل ـ ثمارها ، وارجو ان اكون في هذا البحث ، قد قمت ببعض الواجب ازاء هذا الفذ الذي سبق عصره وبذ الكثيرين وسما عليهم ، خاصة ونحن نستقبل ذكرى مرور خمسة عشر عاما على وفاته .

حياته : قبل اربعة قرون من الزمن، وفد جد خليل السكاكيني الى القدس ، ولكننا نرجح ان مجيئه كان لسببين لا ثالث لهما ، اولهما : عامل ديني ، ليكون على مقربة من المقدسات وثانيهما : العمل ، وهذان السببان نرجح انهما مجتمعان ، ثم اننا لا نعرف اسم هذا الجد ، او اي شيء يمت اليه بصلة من قريب ، او من بعيد ، حتى ان حفيده ، صاحب السيرة ، لم يذكره في كتبه او يومياته ، وكأنه كان يرى نفسه فقط ، فهو يقول « انا لا انتمي الا الى نفسي ، فأنا خليل السكاكيني » وقد وفقنا في معرفة القليل عن جدته لأبيه فهي يونانية ، من يونان القسطنطينية ، وكانت ذات ذكاء وقاد ، وثقافة راقية ، اذ كانت تجيد اللغات ، اليونانية والتركية والعربية ، اما ابوه فهو قسطندي السكاكيني كان يشتغل بالنجارة وتجارة الخشب ، وملما باللغات اسوة بأمه ، فقد كان يجيد الى جانب العربية التركية واليونانية والروسية ، لذا كان كثيرا ما تطلبه الحكومة العثمانية لتستعين به ، وكانت له بين عشيرته وقومه ، وطائفته منزلة رفيعة لما كان عليه ، من دماثة الخلق ، وطيبة النفس ، وحب الصالح العام ، فانتخب مختارا (عمدة) للطائفة الارثوذكسية ، ومن ثم عضوا في مجلسها الملي ، اما امه فهي مريم حرامي ، من القدس ، وكانت ازوجة واما مثالية .

ففي الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٧٨ رزق قسطندي السكاكيني طفلا سماه (خليلا) كان طفلا جميلا ، ممتلىء الجسم ، ذا شعر احمر مرسل ، كثيرا ما كانت امه تضفره كشعر البنات وتمر الايام سراعا ، والاعوام تباعا ، والطفل ينمو ، ويتسع عقله ومداركه ، حتى بلغ سن الدراسة ، فأدخله ابوه المدرسة ، وما كاد الانجليز يفتحون مدرسة الشباب في القدس حتى كان (خليل) فيها ، وكان من اساتذته في هذه المدرسة ، المربي امين نصر ، واستاذ الجيل ، نخلة زريق ، وقد كان للاخير ، التأثير العظيم عليه ، واصبحت بينهما مودة لا حد لها ، وكان في المدرسة الاول على اقرانه كلهم .

وما كاد يتخرج من مدرسة الشباب ، حتى سافر الى بريطانيا ، ليستكمل الدراسة ، في اصول التربية والتعليم والمناهج الدراسية ، وفي العشرين من عمره ، التحق بجمعية الاداب الزاهرة ، التي اسسها المرحوم داود صيداوي سنة ١٨٨٩ ، وكان يخيم على اعضاء هذه الجمعية ، اليأس والتشاؤم ، ذلك فيما نرى ، الى ان سوق الادب لم تكن رائجة وقتئذ ، واغلاق الابواب في الوجوه ، وعجزت القدس عن ايواء شبابها الطامح ، فضاقت بهم الارض ، فقرر خليل الهجرة الى امريكا عل الحظ يبتسم له .

وتعلق قلب خليل بجارته المعلمة الحسناء ، سلطانه، وتتأجج نيران الحب في قلبه ، فهو يريد منها ان تفتح له قلبها ، واخذ يسطر لواعج هذا الحب كلمات وقصائد ، يبعثها اليها كرسائل ، او يحتفظ بها بيومياته ، وتجري الرياح بما يشتهي خليل فتستجيب سلطانه لداعي الحب ، وتتوالى اللقاءات بينهما تحت اشجار الليمون الجميلة .

ويهاجر خليل الى امريكا ، ولا تكاد عصا الترحال تحط به ، حتى اخذ يبحث عن عمل ، فألتف حوله بعض الطلاب يعلمهم بأجر زهيد متأرجح ، لا يكاد يكفيه ، وتمر عليه ايام عسر شديد ، فيتوقف الطلاب عن الدرس ، وبعض اصبع الندم لهجرته التي جرعته الامرين ، وتتوالى ايامه متلاحقة حالكة ، الى ان يلتقي بالاديب فرح انطون الذي يعرفه باستاذ اللغة العربية بجامعة كولومبيا ، الدكتور كوتهايل ، فحقق خليل معه مخطوطا عربيا قديما، ثم يعمل في محل تجارة ككاتب ، لكن صاحب العمل طرده ، عندما طلب منه ، ان يكتب له جوابا وقال له « الجواب حسن ، ولكنه ليس على الاسلوب المصطلح عليه عند التجار » فخرج يتعثر بأذيال الخيبة والفشل ، وتنكشف له حقيقة المهاجرة بشعة قاسية ، وتفتح كوة صغيرة من الفرج ، فيعمل في احد المعامل ، يدفع عربة

ملأى بالاوراق ، عشر ساعات في اليوم ، ويبدو أن العمل ، لم يرق له فتركه .

وفي صباح الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٠٨ تقع عيناه على الصحف ، فيقرأ ان السلطان عبد الحميد ، منح البلاد الدستور ، مما ابهج خليل وسره، واستبشر به خيرا فيقول « الان اذا رجعت الى بلادي يكون رجوعي في محله ، اذا صحت الاحلام ، كان المجال امامي واسعا ، الان استطيع ان اخدم بلادي ، الان استطيع ان انشيء مدرسة ، وجريدة ، وجمعيات ، الان نستطيع ان نرفع اصواتنا بدون حرج ، لينعم بالك يا سورية ، صبرت كثيرا فنلت مبتغاك ، ليرتد الطامعون فينا خائبين » .

ويعود خليل الى ارض الوطن ، ويبدأ بتنفيذ ما عاهد نفسه عليه في امريكا ، فأخرج الى الوجود ، جمعية الطائفة الارثوذكسية ، وتبعث له جمعية الاتحاد والترقي بمن يقنعه بالدخول فيها ومما قاله المبعوث له « يجب أن تعلم انك الشخص الوحيد ، الذي ارسلت الجمعية من قبلها من تدعوه ، والا فان الكثيرين يجيئون الى ابواب الجمعية ، يرجون الدخول فيرفضون » . والتحق بالجمعية واصبح من اعضائها ، الا انه ما لبث ان هجر تلك الجمعية ، عندما ايقن ان اهدافها لا تتلاءم مع اهدافه ، واهداف قومه وبلاده ، واسس فرعا لجمعية الاخاء العربي ، كان من اعضائه البارزين ، نخلة زريق ، ثم اسس المدرسة الدستورية ، تلك المدرسة التي ثارت على المألوف .

وفي الثالث عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٢ تم زواج خليل بسلطانه ، والتم الشمل ، وقر عينا بشريكة حياته ، وشاركته تحمل المسؤولية ، ومتطلبات الحياة .

وتمر الايام ، متلاحقة باسمة ، حتى كان ثمرة زواجه طفلا جميلا كثير الشبه لأبيه سماه (سريا) .

ثم اسس ابو سري ، مدرسة ليلية لتدريس اللغة العربية ، اعطت نتائج طيبة ، وأبدت عن جهود مباركة ، ولما اسس قومسيون المعارف في لواء القدس سنة ١٩١٤ كان عضوا فيه طيلة سنوات اربع .

وتنشب نار الحرب العالمية الاولى ، فتعلن تركيا ان الجهاد واجب مقدس ، فيلبي منادي الحرب فيلتحق بأحد المستشفيات ليشارك في المعركة ، وذات ليلة من ليالي الحرب الكالحة ، سمع طرقا على باب بيته ، وما كاد يفتحه ، واذا به امام رجل ، لم يلب نداء وجهته اليه السلطات العثمانية ، لانه من الرعايا الامريكيين ، ومن يساعد امثاله فلن يرحم ، ويتهم بالخيانة واحتار ابو سري في امره ، ودبت فيه حميته وفتح له الباب ، مهما كانت العاقبة ، ولما علمت الحكومة العثمانية بذلك ، قادته وذلك الرجل بالاغلال الى سجن دمشق ريثما ينفذ فيهما حكم الاعدام .

ويعظم امر الثورة العربية ، فانضم مع بعض الرفاق الى ركابها ، ولم يخطر ببالهم جميعا النجاة من كيد السلطات المراقبة لهم ، ولكنهم عزموا وتوكلوا وقالوا مع المتنبي :

فان شئت يا طرقي فكوني اذاة او نجاة او هلاكا

ويؤكد المؤرخ عارف العارف ، التحاق خليل بركب الثورة العربية ، فهو الذي وضع نشيدها القومي الذي مطلعه :

ايها المولى العظيم	**جد كل العرب**
ملكك الملك الفخيم	**ملك جدك النبي**

ومما قاله خليل ، في ذلك الوقت « كنت قبل اليوم أحسب القدس موطني ، اما اليوم وقد خرجت من سوريا الى البادية ، الى مصر ، الى فلسطين ، وطني العربي ، يشمل كل البلاد التي يتكلم ابناؤها العربية ، وما اسهل أن توحد كلمتنا ، وما اسهل ان نحيا كأمة واحدة ، لنا لغة ولنا ادبيات » .

ولما عاد الى القدس ، كانت الحال قد تغيرت ، فالايام قد قلبت لتركيا وصديقاتها ظهر المجن ، وكان النصر لجانب بريطانيا وصديقاتها ، واول ذي بدء ينخدع خليل ببريطانيا وحسب انها ستبر بوعدها ، ولكن على ما يبدو ان خليلا ، وقف على حقيقة نواياها المبيتة فكتب في يومياته « يظن من يرى علاقتي بالانجليز ، انني استسهل حكمهم علينا ، مهما بلغ حبي للانجليز ، ومهما اعجبت باخلاقهم ، فاني افضل ان نكون مستقلين ندير انفسنا ، بأنفسنا ، ولو ارتكبنا كل يوم مئات الاخطاء » .

ولما سافر ابو سري الى سوريا سنة ١٩١٩ عرض عليه ، أن يكون مفتشا عاما للمصارف في سوريا ، ولكن الظروف لا تمكنه، بل يعمل مديرا لدار المعلمين في القدس، وبدا نشاطه فيها يبلور آراءه ، ويخرجها الى حيز المعقول، وفي هذه الفترة ، تكثر اللقاءات بينه وبين بلبل العراق ، الشاعر معروف الرصافي ، وتتوطد بينهما عرى الصداقة .

وتبين لأبي سري ، خداع بريطانيا للعرب ، فقد كشف عن نواياها الخبيثة ، في عملية تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، فتنبه ، كما تنبه احرار العرب ، وندموا حيث لا ينفع الندم ، ومن ثم عينت بريطانيا ، هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني العريق مندوبا ساميا للبلاد ، وعينت عددا كبيرا من المسؤولين الصهاينة او ممن يحملون ولاء لهم ، واخذ خليل يبين لأمته بكل ما أوتي من قوة بيان وتأثير ، يخطب في الشبان والمعلمين ، ويحث الامة على الثورة ، وعزم على الاستقالة ، فهددته الحكومة البريطانية ، انه اذا قدم استقالته ، فانه لن يعود للوظيفة

المراجع : (١) كذا انا يا دنيا (يومياته) جمعتها كريمته هالة . (٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات السكاكيني (جزءان) . (٣) ذكرى السكاكيني . (٤) مجلة الاديب .

مرة اخرى ، ولكنه مضى غير هياب ولا مكترث ، ولزم بيته ، وبعثت اليه المليونيرة المسيحية الصهيونية ، المسز كبلنغ من قبلها، تعرض عليه ستين جنيها في الشهر لتحبير مقالا يوميا لا يستغرق من وقته شيئا ، ولكنه رفض ذلك بشدة ، وطرد رسلها .

ويمم شطر مصر ، وعمل مديرا للمدرسة العبيدية، ويتعرف بنعوم شقير ، ويلتقي بأمين الريحاني ، ويلتقي بصديقه مصطفى عبد الرزاق والدكتور منصور فهمي ، والدكتور طه حسين واحمد زكي باشا ، والدكتور احمد ضيف وغيرهم ، وبعد ان امضى سنتين حافلتين في مصر ، عاد الى القدس ، فاشتغل في الصحافة ، وكتب مقالات عديدة في المقتطف والهلال والسياسة والشورى وفلسطين ، جمع بعضها في كتابين هما : « مطالعات في اللغة والادب » و « ما تيسر » .

وتروي كريمته هالة في ذيل يومياته ، انه استأنف نشاطه في الحركة الوطنية ، اذ نيط اليه مهمة امين سر اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني مدة من الزمن .

ولا يكاد هربرت صموئيل يغادر البلاد الى غير رجعة ، حتى يلتحق ابو سري ، بادارة المعارف ، ويصبح مفتشا عاما ، للغة العربية ، وفي تلك الفترة ، دعي لالقاء سلسلة من المحاضرات ، في اصول التربية والتعليم في لبنان فلبى الدعوة والتف حوله المعلمون واصحاب الاختصاص وحاز الاعجاب وشد اليه الانظار .

ثم عمل مديرا للقسم العربي في الاذاعة ، ولكنه حينما سمع الاذاعة تقول « هنا فلسطين ارض اسرائيل » ثارت ثائرته ، واتصل تلفونيا بمدير الاذاعة العام ، وقدم الاستقالة مهددا متوعدا ، وتناولت الصحف نبأ استقالته، وأثار ذلك ضجة في طول البلاد وعرضها .

وتجيء سنة ١٩٣٦ ، سنة الثورات والاضطرابات ، والاضراب الطويل الذي لم يشاهد العالم بأسره ، اضرابا إمتد مدة من الزمن مثله ، ستة اشهر ، ذلك كله نتيجة لسياسة التعسف التي انتهجتها بريطانيا في فلسطين ، من فتح باب الهجرة امام شذاذ الافاق ، واعطاء مئات الدونمات من الاراضي الاميرية لهم ، ويأسف خليل لحالة الحكومة التي تلعب بها الصهيونية كما تشاء ، فيقول « من يقم وزنا لحكومة يسخرها اليهود كما تسخر الالة الصماء ؟ ما احراك ايتها الحكومة ان تخجلي ، بل ما احراك ، ان تتمني ان تنشق الارض فتبتلعك » .

وتستعر نيران الثورة وتسري في كل مكان من فلسطين سريان النار في الهشيم ، وتقدم فلسطين ابناءها قربانا للحق حتى ارتوت الارض الطهور بدماء الابطال ، ويهلل خليل للثورة فيقول «لا عجب من ظهور الابطال، فان أبناء فلسطين اليوم ، هم فضلات الموت ، هم فضلات السيف ، هم من نسل الابطال والجبابرة ، زيدي ايتها الحكومة في العنف والضغط ، نزدك ابطالا ، والمستقبل بيد الله » .

وتمرض ام سري ، ويستولي على خليل الحزن والجزع ، ويطلب منه ان يدرس بدار المعلمين ببغداد فيعتذر ، ويشغله مرض زوجته، ويتفاقم مرضها، وتسوء حالتها ، ولا تلبث اياما حتى تسلم الروح فينزل موتها على خليل نزول الصاعقة ، فيحرق قلبه ، ويذرف الدموع ، واصبحت حياته نواحا وبكاء لا ينقطع ، ولا يتركه القدر يفيق من صدمته بوفاة زوجته حتى لاحقه بأخرى، فينشب الموت اظفاره ، في صديقه الاثير ، او كما يسميه بالجوهر المذاب ، الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الازهر في وقته .

ولما عقد المؤتمر الثقافي العربي ، في بيت مري بلبنان ، باشراف الجامعة العربية ، حضره عدد كبير من رجالات الفكر والادب ، من الدول العربية ، امثال احمد امين وعبد الوهاب عزام وعلي الجارم ، وقسطنطين زريق ، وساطع الحصري ، واسحق موسى الحسيني ، وخليل السكاكيني ، الذي كان في لجنة تيسير قواعد اللغة .

وفي منتصف عام ١٩٤٨ اصبح عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والح عليه الدكتور محمود عزمي ، بضرورة المجيء لمصر ، وسكن في دار تاريخية ، بمصر الجديدة ، كان يسكنها قبله الشاعر خليل مطران ، وقبله سكنها الشيخ سلامة حجازي ، وفي القاهرة ، القى سلسلة من المحاضرات في النادي الشرقي وجمعية المعلمين ، والجامعة الامريكية .

وتذهب فلسطين نتيجة للغدر والخيانة ، وتتابع سلسلة المصائب ، فيهاجم المرض فلذة كبده ووحيده (سري) ولم يجد الطب نفعا ، ويموت ابنه ، فيهده المصاب ويحطمه ، فعاش بعد فقده لولده ثلاثة اشهر ، في حزن عميق ، وانتهت الرواية ، يوم الخميس الثالث والعشرين من آب سنة ١٩٥٣ ، واسدل الستار ، وكأن ما كان لم يك كان .

الزرقاء ـ الاردن **حمودة زلوم**

لم يكن رزق الله افندي موجودا بالغرفة عندما بارحتها الارملة الشابة ، ولهذا اغتنم الثلاثة هذه الفرصة ، وحاصروني بسخطهم وتهكمهم ..

صاح احمد الحلو :

— أمراة تأتيك بعد ان صرفت تعويضها عن وفاة زوجها .. فماذا نبغي ..؟ الشكر كما قالت هي وكما نوهمت انت .. يا بني آدم مجيئها ثانية دعوة منها لك ..

قلت وانا اكبت غيظا تفجر في داخلي :

— ومن قال لك ذلك ؟.. ثم انني لا اريد مثل هذه الدعوة ولن البيها ..

علق نبيل السعيد ساخرا :

— لن تتحرر من ريفيتك ولو غسلوك بماء باريسي ..

صرخت بحنق :

— ريفيتي لن اتحرر منها كي لا ابقى بغير منبت مثلكم ..

قهقه رشدي الحسيني ومضى يردد :

— خيبة وقصور ..

وانتظم الثلاثة في ضحك عال متصل ..

في تلك اللحظة ، اقتحم رزق الله افندي الغرفة ، فكفوا جميعا عن الضحك ، وسارعوا يدسون داخل حلوقهم ، ما كان يتوثب فوق شفاههم من كلمات ، ويدفنون عيونهم داخل الدوسيهات الموضوعة امامهم ..

اطرقت برأسي انا الاخر، واعماقي تمور كمدا وغيظا .. كل صنيعي في نظرهم خيبة وقصور .. فمتى يقنعون انه ليس كذلك ؟؟. والام سيبقون على موقفهم مني ؟.. منذ عينت بهذه الادارة وهم يلاحقونني بفحيحهم .. وحين يضيقون باصراري يفجرون سخطهم وتهكمهم في وجهي .. فمتى يكفون عن مطاردتي ؟.. الكلاب في قريتي حين ترى غريبا وتشم فيه رائحة الغربة .. تلاحقه بنباحها حتى يغيب عنها .. فهل هم مثل الكلاب في قريتي .. يطاردونني كلما شموا في رائحة الغربة ؟..

مر الوقت الباقي مغلفا بصمت ثقيل ؛ وحين ارتفع صوت احمد الحلو منبها الى دنو لحظة الانصراف، رفعت رأسي ، واحتويت الغرفة بناظري كارها .. ها هو رزق الله افندي قد آب من غفوته اليومية، وانصرف يفرك عينيه المحمرتين .. واحمد الحلو ينتصب واقفا امام زجاج النافذة القريبة من مكتبه ، يسوي كعادته شعره وهندامه ..

شروع

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

ورشدي الحسيني ونبيل السعيد يقفان وراساهما مشدودتان الى حديث خافت .

عدت فأطرقت برأسي متشاغلا بطي الجريدة ، وغلق درج مكتبي .. بعد لحظات خرجوا تباعا فقمت في اثرهم امشي في تراخ .. احدق في الممر الطويل ذي الضوء الكابي كأني انظر من خلال ضباب .. اجساد تمر بي مسرعة .. اكف تصفع في هوادة ظهري ، مداعبة ، اصوات متباينة تصافح اذني ، عابثة ..



— مالك تمشي كالنائم ..

— يبدو انه يخاف الرجوع الى بيته ..

— وهل يخاف الاعزب بيته ؟.

لا بد ان له .. وموعدها لم يأت بعد ..

قدماي تزحفان بي الى الشارع .. الشمس كنست الظل من وسطه .. ازاحته الى جانبيه .. لذت بالظل فوق الرصيف .. مشيت وحدي وسط اجساد تتماس وتتباعد في غير وعي ..

جاء الترام قبل انتظار .. طوقتني صدور وظهور وانا اصعده ... انضغطت في ارداف وبطون وانا اندس في جوفه .. حاصرتني اذرع وسيقان فأوقفت تقدمي عند وسطه ..

رائحة عرق تملأ خياشيمي ... اشرأبت راسي تبحث عن متنفس تهرب اليه من رائحة العرق .. تراخت حين عانقت نسمة ملتهبة بلغتها من نافذة الترام ..

صفارة ممطوطة .. حركة مد وجزر في بطن الترام ... اصوات تأفف وزمجرة .. صفارة ثانية .. قصيرة .. متعجلة .. رائحة تنعش القلب تنفذ الى انفي .. رئتاي تتلهفان الى مزيد منها .. دارت راسي تبحث عن المكان الذي تتصاعد منه الرائحة المنعشة ... سقطت عيناي قبالتي على شعر ناعم يتهدل فوق كتفين عاريين ، ويعانق وجها رائق السمرة .... تمهلتا فوق خصلاته في شغف يفزعه رعب خفي .. هبطتا خلسة .. ضبطتا صدرا ينضغط في صدري ..

سخونة تسيل في عروقي ... دبيب مجهول يدغدغ اوصالي ... عيناي تنزلقان الى اسفل ، حيث الصدر ينضغط في صدري، والوجه والشعر ، والكتفين العاريين .. بوغت بعينيها السوداوين تتأملان

وجهي .. ارتدت عيناي تتعثران في اهدابهما المرتعشة ..

عرق غزير يطفح على جسدي .. الاضطراب يمسك بانفاسي .... مشاعر متنافرة تجتاح داخلي ، تميع ادراكي .. مددت فجأة يدين غير واعيتين .. ازحت بهما في بعض عنف الجسد الفائر .. تقهقر الصدر .. لاح في العينين السوداوين بريق احتجاج .. اندفعت الى مقدمة الترام تسبقني ذراعاي ، تشقان طريقا وسط التلاصق المقيت بين الاجساد ، والسخونة ، والرائحة .. لم اعد اشم الرائحة التي تنعش القلب .. خلفتها ورائي ..

اطللت على السائق من فوق الزحام .. ناديته :

ـ يا اسطى .. قف من فضلك .

اشرعت جفون قريبة مني ، اثقلها الحر .. حدجتني بنظرات متراخية تقطر سأما ودهشا .. تفجر صوت السائق ساخرا :

ـ ابة محطة يا استاذ . .

استطرد مقهقها :

ـ الله يلعن الحر ..

خنق الارتباك صوتي .. نثر على جسمي حبات جديدة من العرق ، باردة ، لزجة .. اقترب الترام من المحطة التالية .. جلجل صوت السائق :

ـ المحطة يا استاذ ..

مددت نظرة من فرجة وسط الزحام الذي يسد باب الترام .. ارتدت الي تهمس انها المحطة التي لا اريدها .. استمسكت بالصمت والجمود .. لكزني كوع حاد في جنبي، ونطق صوت في امتعاض :

ـ انزل يا استاذ .. الا ترى المحطة ؟..

بصوت مخنوق باللعنة عليه قلت:

ـ المحطة القادمة ..

زمجرت اصوات قريبة وبعيدة .. تطاير منها الى سمعي كلمات شوكية .. انهالت على جسدي تجرحه ، تمزقه .. كدت اصرخ في وجوههم .. انتم الاخرون كلاب ، شممتم في رائحة الغربة .. لكني لم اصرخ فيهم .. بصقت عليهم خفية ، في داخلي ، واستنجدت بعيني كيما ترشان فوقهم رذاذ بصقتي .. خذلتني عيناي ، فبقيت البصقة في داخلي ، يتجمع رذاذها في مدخل رئتي ، يمنع الهواء عنهما .

الصفارة المطوطة تخرق سمعي .. الكوع الحاد يلكزني في جنبي ، والصوت الكريه من ورائه يؤازره :

ـ محطة الميدان يا افندي .. ام تنوي البقاء حتى المحطة التالية ..

اصوات من داخل الترام تتجه ناحيتي .. تنقض على رأسي :

ـ افندي محترم يترك مكانه في وسط الترام لينحشر في الباب ..

ـ طبعا لكي .. ماذا نقول ... شيء مخجل .

اذرع كثيرة تدفعني .. تطوح بي خارج الترام .. وسط مهرجان اللهب والقيظ .. تمهلت امسح عن بدلتي ما تركته عليها الاصابع واللكزات .. سبقتني نظرة فاترة ، تقدر في غيظ المسافة الباقية من مشواري .. بقي ما يزيد على خمس محطات .. انتظار ترام اخر تحت هذا الوهج الحارق اكذوبة .. لا مفر من المشي ..

الارض تفح لهبا .. تنز سوادا لزجا . شريط شحيح من الظل يبدأ بعد خطوات .. يترامى على طول الشارع .. يلتصق بالبيوت التي تحتوي جانبيه .. بلفت شريط الظل لاهثا .. لفحات تتكسر على حافته الملاصقة للشارع .. اخذت اتمهل عند كل عتبة بيت .. اتنسم بعض نسمات رطبة تطل علي من ورائها .. انعطفت الى الشارع من حارة جانبية ، امراة تختنق النحافة وسطها ، وتثرى بالامتلاء اردافها ، تمزق الفتور في عيني ..

ـ لا يخلو شارع من امرأة .. وانا عكس نبيل السعيد افضل الشارع على الاوتوبيس والترام ..

اوسعت من خطاي .. ارتطمت قدماي عندما حاذيتها ، وتلاحقت ضربات قلبي .. ضاعفت من سرعتي حتى تجاوزتها .. احسست بعينها تنغرزان في قفاي، تعتصران مخزون عرقه .. سال العرق فبلل ظهري كله .. بقيت مستمرا في سيري المتعجل .. عند حارة جانبية درت برأسي الى الوراء متظاهرا بالقاء نظرة على الحارة .. لم تر عيناي نحيفة القوام .. هوت قبضة مجهولة فوق صدري فانقبضت رئتاي .

عدت الى التسكع قرب عتبات البيوت ، املأ رئتي بالنسمات المضمخة بالرطوبة .. هبت من خلف احدى العتبات ، نسمة من شذى مسكر .. تمهلت قليلا ... خرجت الى الشارع من وراء العتبة، امرأة اطول من سابقتها قامة واكثر امتلاء .. مشت تتهادى في خطو هادىء كأن الحر لا يستثير حنقها .

ـ « يمكن ان تتعرف على صيدك من مشيتها .. فان وجدتها صيدا مناسبا .. فيكفيك جنيها او اثنين ثم تقاسمها رحلة ليلة .. »

امتدت يدي الى جيبي .. قبضت اصابعي على وريقات نقد مطوية .. سارعت ذاكرتي تعين اصابعي على حسابها .. جنيهات ثلاثة ترقد في انتظار عشرة ايام تبقت من الشهر . فصلت اصابعي جنيها عن الجنيهين الاخرين .. رنت عيناي الى القوام الذي يتهادى في خطوه امامي ... قامة مديدة .. وشعر كستنائي معقوص خلف الرأس .. وبشرة تلوح بيضاء متوردة .. عادت اصابعي تضم اليها جنيها ثانيا ، وتلقي في قاع الجيب بالجنيه الباقي .. يمكنني اقتراض جنيهين من رزق الله افندي .. اقترضت

الى ما لا نهاية

★

اني الفت حلاوة الاغفاء … والفت صدرك طاويا برحائي
والفت ذاك الصوت يسكب حانيا … همس الشفاه ورعشة الاحشاء
اني الفتك يا حبيبي رملة … تمتد حتى تحتوي صحرائي
والفت قلبي معتبا اقداره … والفت دربي عاصفا برجائي
والفت دمع الشوق ينزف صامتا … فيكون برد صبابة هوجاء

حتى م امضي في طريقك عاثرا … حتى م ابصر في رضاك عزائي
فانا الفتك صنو كل نقيصة … والفت فيك رعونة الاهواء
واذا غرامك لم يكن لي خالصا … يكفيك انك كنت رجع ندائي

دمشق — سلافة العامري

منه ذات مرة حين مرض ابي واضطررت للسفر فجأة .. لكن ابي لم يقبض مني شيئا اول الشهر التالي .. قال كفاك ما انفقته بسبب مجيئك المفاجيء .. هل يعفيني هذا الشهر مثلما فعل شهر مرضه ؟.. لو اني كتبت له اخر الشهر خطابا رقيقا اشكو فيه خصما غير متوقع فسوف يغفر ضني عليه بالجنيهين .. ويرضى بالجنيه المرسل اليه .

مشيت بخطوات اسرع حتى صرت في محاذاتها .. هممت بالكلام دون ان التفت اليها .. ادرت لساني في حلقي مرات فعصاني .. الزمه الجفاف ان يتحرك بصعوبة .. بلعت ريقي مرارا .. ادخلت دفقة هواء لارطب حلقي .. اخيرا لان لساني .. التفت اليها .. القيت الى جانبها بصوت لا يكاد يسمع كلمة واحدة : « رائعة » ..

استدارت ناحيتي براسها ... رمقتني بنظرة لم يستطع طرف عيني ادراك مغزاهـا .. ارتطمت قدماي .. كدت اتخلف عنها ... بذلت جهدا كي ابقى في محاذاتها .. في سرعة خاطفة انطلق صوتي اكثر وضوحا : « اعزب .. ووحيد .. و ... »

التفتت الي وعلى شفتيها بسمة رشيقة . عادت تشيح عني والبسمة تتراقص فوق شفتيها .. رغم الدوار الذي راح يداعب راسي .. اسرعت بالاقتراب منها ، حتى اوشك كتفي يمس كتفيها .. تحرك لساني ... قبل ان تنفرج شفتاي لتطلقا ما يريد النطق به .. شعرت بيد ثقيلة تقبض على كتفي .. استدرت فزعا وقد اشتد وجيب قلبي .. الفيتني وسط رجال ثلاثة يرتدون معاطف صفراء ويتنافسون في الامساك بساعدي .. وقفت بينهم ماخوذا اكاد لا اعي شيئا .. فمن هؤلاء الرجال ؟ وماذا يريدون مني ؟ كنت امشي واذ بهم يمسكون بي دون كل المارة فهل هذا الطريق محظور ان يمشي فيه الغرباء امثالي ؟ وكيف شموا في رائحة الغربة ؟.. توقف بعض المارة والقوا لي من وراء دائرة الحصار نظرات شفقة واستفسار .. مضى بعضهم وتلكأ اخرون .. انفلت الرجال الثلاثة بعد ان لبثوا فترة صامتين ، يرمونني بكلمات ازدراء .. ارتجت اعماقي هياجا وثورة .. هممت بالتخلص من بين اصابعهم التي توشك ان تنغرز في لحمي ، مزمعا الصراخ في وجوههم « كلكم كلاب » . قبل ان افعل .. ارتفعت من بينهم يد حانقة وهوت فوق وجهي في صفعة قوية .. مكثت لحظات مشدوها .. ترتعش اهدابي .. وتتجمع الدموع في عيني .. ثم ترنح جسدي .. وسرعان ما تداعى بين اذرع تلقفته قبل ان يرتطم بالارض .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل



عبد الوهاب عزام وآثاره الادبية

تأليف الدكتور زكي المحاسني ـ ١٤٨ صفحة ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة

حين كنا نتلقى في أيام الدراسة تلكم المعارف المتنوعة التي يلــزم بها المنهج المقرر لموضوع تاريخ الادب الحديث الممتد من اخريات القــرن الفائت ، حيث دخل الادب العربي في طوق مرحلة جديدة تحفل بضروب التجديد في موضوعاته والابتكار في صياغته واسلوبه ، فصار أوثق صلة بالحياة والمجتمع واخذ باسباب العفوية والجري على الســليقة وانأى عن التفصح والاداء اللفظي العقيم ، على غرار ما الفه واعتاده طيلة القرون المظلمة في اعقاب سقوط الدولة العباسية وتعرض الثقافة العربية الاسلامية لغوائل الانحسار والركود ، لم يكن التعريف بأعلام الادب الحديث ونماذج من معطياتهم ونتاجاتهم ليتعدى الشامخين الثلاثة طه حسين والعقاد والمازني ، وكذا خيل لنا وقتذاك ان أولاء هم العمد الراسخة والاركان القويمة ، وعليهم المعول في استرفاد مناهل الادب الغزير واجتلاء اسرار لغتنا وعراقتها وحيويتها وقدرتها البالغة على التعبير والخلق والتجسيد والابانة عن ضروب المشاعر والعواطف والافكار والمعاني ، وان لا مناص من مطالعة كتبهم ومؤلفاتهم وايلائها تدارســا وتمحيصا بالنسبة للناشىء الفتي الباحث عن الفكرة والاسلوب معــا ، بحسب ـ التقسيم التقليدي او التعريف المالوف الذي لقنه عن الادب مع ما سيق له ووضع في متناوله من تلكم النماذج الدالة والشواهد الحيــة .

وما يزال الايحاء القديم ذاك أمكن من افهام الكثيرين وأرسخ في اذهانهم وأثبت في عقولهم واسرع الى مواتاتهم حين تعجلهم الضرورات ومناسبات التحدث والافاضة في شؤون الادب والفكر وتطلبهم بالحجة الدامغة والبرهان الثبت من بين جميع الخواطر والاراء الثاوية فـي أعماق الذاكرة ، ولا يخفى أن ما نتدارسه في المراحل الاولى من العمر من صنوف المعارف والثقافات يظل محتفظا بفاعليته وتأثيره القــوي ويكون له مثل فعل السحر على منازعنا ووجهات تفكيرنا ، حتــى اذا تقدمت بنا الحياة وقدر لنا ان نتدارس ضروبا اخرى من معطيات الافهام ونتاجات العقول فقد لا تحملنا ، رغم ما تكتنز به من الابداع والاصالة، على استهوان معارفنا القديمة والتفريط بها والتنكر لها واعتبارهــا من المخرقات والاضاليل ، وكذا يتعرف من يولع بالمداومة على القراءة في اعقاب مرحلة التحصيل الاولي ، متوهما او مستيقنا ، انه من أولاء الموهوبين المعدين للانتظام في رعيل الادبــاء والانخراط في صفهــم ، ويقتضيهم ذلك ان يأخذوا ذواتهم بالدرس القاسي والمشقة الطائلــة .

نقول يتعرف هذا المولع الطامح على اعلام الادب العربي المحدثين من اخوتنا المصريين ، فهم قدوتنا في التحصيل والمراس ومعولنا فـي صقل الملكات وشحذ القدرات والايفاء بها على الخلق والابتداع ، ومن بينهم امين الخولي ومنصور فهمي وابو العلا عفيفي ومصطفى عبدالرازق وزكي مبارك واحمد ضيف واحمد امين وعبد الوهاب عزام ، واذن فليس الشامخون الثلاثة يؤلفون وحدهم دعامة الادب العربي في مصر او يقتصر صيده على نتاجهم وحده ، انما يقف الى جانبهم في حلبة الفكر آخرون قد لا يتدنون عنهم في رجحان الملكات وسموق الكفايات ، انما يظهر ان لالتحام الاعــلام الثلاثة بحياة الجمهور واقترابهم منه ، اذا جاز التعبير ، وتوثق صلتهم بالسياســة ابان طور او آخر من اطوار حياتهم ، أبلغ الاثر في ما احتازوه من استطارة الصيت وذيوع الشهرة ! حتى لقد أثر ذلك في واعية المشتغلين باعداد المناهج المدرسية في أكثر من قطر عربي وأوفى بهم على ترجيح أولاء في مجال الاستدلال بهم على الاسهام في النهضة الادبية المعاصرة والاقتصار على مأثوراتهــم في اختيــار النصوص والشواهد الملائمة لمختلف مراحل الدراسة ، وذا لا يحد من فرط الاعجاب بما يسم اسلوب طه حسين من الرشــاقة والعفويــة والترسل والطواعية مع ما يصحب ذلك من التصوير القوي والايقاع الجميل ، كما لا ينفي ما نتلمسه في تعبير المازني من الحيوية والنفاذ والاصالة والدقة والاحتفاء بالجمال الفني ، او ما يزين كتابات العقاد عموما من العمق والقوة والفخامة وكلها دالة نامة عن المراس الطويــل والتدارس الفني والثقة البالغة حد استهوان القارىء ، مما أضفــى عليهم بعض السمات والخصائص التي نتج عنها ايثارهم دون سواهم من جهابذة الفكر والادب بالايماء والاستدلال وخطوتهم بالتالي ان تزجى نماذج من معطياتهم ضمن مواد الكتب المدرسية مع ما يزجى عادة مــن نتاجات القدامى من أعلام الثقافة العربية في عصورها الزاهرة القديمة.

قد تجول كل هذه الخواطر في مخيلة القارىء وتراود ذهنه وهو يتصفح هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه مجموعة المحاضرات الموضوعية المنصفة التي ألقاها الدكتور زكي المحاسني على طلبة قسم البحــوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة عن سيرة استاذه الراحل الدكتور عبدالوهاب عــزام وأدبــه وخلقه وما أسلفه من آثار محمودة في دنيا الفكر والادب وخدمة العروبة والذود عنها وهي تواجه التيارات المريبة والنزعات الضارة أبــان حقبة عاصفة لا أحفل بالقلق والاضطراب من تاريخ العالم العربي وفي غمرة تطلعه وتوقه وانفتاحه صوب حضارة الغرب الوافدة .

ولا ريب ان الاحتفاء بذكرى الماضين من جبابرة الفكر وتخليد تراثهم وتمجيد كفاحهم والشهادة الصادقة لهم بحسن الصنيع على مــا قد يرادف مسيرتهم ، في الاضطلاع بوجائبهم والانتهاض بالتبعــات التي خصتهم الاقدار بحملها والتكفل بها ، من الاخطاء والشطحــات ومجانبة القصد من آن لآن والتنكب عن مسايرة الزمن ومجاراته والنزول على ضروراته ومقتضياته على شاكلة قد لا تكون موفية بهم على الجمود والركود وتقديس الرواسم القديمة والابقاء عليها والانطلاق منها فــي كل منزع او تصرف ، نقول ان الاحتفاء ذاك ومــا يواكبه من ضروب التخليد والتمجيد والشهادة ، دليل ساطع وقســمة واضحــة ان الخلقيات السامية بدأت تشق دربها في حياتنا وتملي منطقها الصارم القوي في اهتماماتنا الفكرية والادبية ، حتى لقد شرعنا معها نعتــد نسيان الراحلين من المبدعين والملهمين والاغضاء عن مأثوراتهم ومبتدعاتهم من قبيل الجحود المشين والتنكر المعيب والعقوق الذي ينبغي ان نصدف بنفوسنا عنه ونميل بها عن الاقتراب منه على حد او طرف .

فكتاب الدكتور المحاسني عن استاذه عزام نفحة زاكية من نفحات الوفاء وأرج فائح بالمحبة والاخلاص والمثوبة الحسنة والاعتراف الجميل بالفضل حيال من أسهم في تنوير حياته ورسم معالمها وتحديد وجهاتها حتى لقد درج في معظم صفحاته على غمر روحه بأعطر الوان الامتداح

والثناء معبرا عن فرط اعجابه واعتزازه ، وقد يرق معه أسلوب استاذنا المحاسني ويشف في اكثر من موضع ويقترب من حد الحماسة المغالية والتأمين الواضح على جماع المنطلقات والمواقف التي دل بها الدكتور عزام في مراحل حياته والجهر بصوابها وسدادها وأخذها باهداب الحق والمنطق والنزوع والتطلع الشديدين لامكان مجاراته ومواكبته واقتفاء خطواته .

ففي المحاضرة المعنونة « ادب الدكتور عزام » التي دلل في استهلالتها ان « فن الادب لا يكون عند اصحابه الا بموهبة وثقافة وتجاريب وما نبغ فيه الكتاب والشعراء وأهل الفكر بغير تلك المواهب التي خلقت معهم تنميها الثقافة والخبرة الطويلة وتتحقق بالاختصاص والاتجاه » ، ليستدل من بعد ان الدكتور عزام من أولاء الذين كتب عليهم ان يسلكوا في عداد الادباء قصد التعبير عن النفس والحياة والاشواق الدينية ، وأن لا معدى لهم عن الاضطلاع بحمل هاته الرسالة والنهوض باسبابها ، ابان فترة كان فن المقالة هو المحبب المستهوى قبل ان تتجه الافهام والعقول الى الدراسات الادبية والمباحث الفكرية المطولة المبوبة في فصول ينتظمها كتاب ، واذ يزجي عبارات ضافية من مقالة الاديب عزام عن الهجرة النبوية للتدليل على اتسام ادبه بالاشراق والصفاء والسلاسة والصدور به عن قلب عامر بالايمان مفعم بالوجد زاخر بالمحبة والتعلق الشديد حيال الذكريات الاسلامية المجيدة دون ان يكون لالفته في طور او اخر لحياة الغربيين ، اذ لم تخدعه بوارقها وبهارجها ، صارف حائد به عن الولاء المأثور السلف الماضين والاعتزاز بما تولوا عنه من الفلسفات الاخلاقية والقيم الانسانية الباقية .

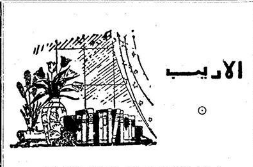
« من كان يظن ان الاقلام جفت والصحف طويت فليصغ ، فيسمع صرير الاقلام تخط في صفحات التاريخ الاسلامي فصولا جديدة ، ومن كان يحسب ان الينبوع نضب فليمعن النظر ليرى ان الينبوع فياض ، وان حجبته الادغال ، أو تراكمت حوله الرمال ، ومن أحس همود الحياة في نفسه وخمود الهمة في صدره وضعف الامل في قلبه ومرض البيان في لسانه فليرجع الى الهجرة وآثارها والاسلام وتاريخه ، فيغترف من هذا الينبوع أو يقبس من هذه النار ، ويقرأ في هذا الكتاب ، ويستمع الى هذا الخطاب ، يرجع الى نفسه حياتها والى همته وقدتها والى أمله قوته ، والى لسانه بيانه والى عقله سلطانه » .

وكان اشفق الدكتور المحاسني على استاذه الكريم ان يصمه المستمع أو القارىء بالصنعة اللفظية التي تكمن خلف هذا الاحكام البارع في رصف المفردات والكلمات ، حيث يستبين ان كل لفظة في العبارة المزجاة تلك ، حالة في موضعها لتؤدي وظيفة معينة ، يتحدد بها المعنى الذي يبتغيه وينهد لتجسيده والابانة عنه ، جاريا بها على ضرب من التاليف والتركيب يحوج لاستساغة الفحوى معه ، ان يظل المستمع او القارىء مشحوذ الذهن متهيئا للوعي بدلالة هذا التقسيم البدع .

فشفع ذلك بالقول « أن من شان الاديب المطبوع والذواق الفطن ان لا يعنت قراءه ويتعب مريديه بما يطرفهم به من آيات بيانه وفنون أدبه وكذلك كان الدكتور عبد الوهاب عزام استاذا في الذوق كما كان استاذا في الادب » ، ميلا به عن الانحاء عليه بالتزمت اللفظي واتهامه بالتدبيج العقيم ورميه بالافتعال والتصنع وكذا ينسب به الى الاصالة والذوق والفطنة والمعرفة بمخابر الالفاظ ودلالاتها ..

ويصح أن نعتبر محاضرته من القسم المعنون « عزام جواب الافاق » التي يرصد فيها لرحلة الدكتور عزام الى مدينة نيسابور مع حضار مؤتمر الفردوسي مؤلف الشاهنامة ، الفارسية ، المقام في طهران عام ١٩٣٤ ، نقول يصح اعتبار وصفه للرحلة تلك ، امتدادا لمحاضرته حول « عزام الصوفي وادب التصوف عنده » ، فقد أفاض خللها ثانية ، بالحديث عن خلقية عزام واخذه نفسه دوما بالجد والبعاد بها عن مجالس الهازلين والعابثين ، وحملها على التسامي والترفع عما

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني .
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

يشين من ضروب المغالطة والمماحكة ، والغموض والغرابة في الاطوار والمنازع ، انما حبب اليها السوائية في القصد والوضوح في النهج والصدق في القول والعمل ، فاذا انسل من رفقة الخيام العاكفين على الشراب في تمجيد ذكراه تحقيقا لما كان يتمناه ـ أي الخيام ـ أبان حياته من صب للخمرة على ترابة قبره من قبل الطائفين والزوار من مريدي شعره وفلسفته ومجاريه في الحيرة والتفكر في مسائل الوجود والعدم ، فليخلص من جمعهم الى جدث الشيخ فريد الدين العطار حيث « باء بغير ما باء به اصحاب الخيام ، والقلب خاشع والذكرى الجليلة آخذة على النفس آفاقها » ، كما ينص المرحوم عزام نفسه في كتاب ضمنه وصف رحلاته .

وكذا يمضي الدكتور المحاسني في التعريف بسيرة استاذه العظيم ، مسترشدا بكتبه ومؤلفاته ، مستبدلا بنصوص ضافية مما سطره قلمه حتى ليعفي ذاته من التعقيب احيانا ، لينفسح مجال القول والاقتباس من تراث صاحب السيرة العطرة ، فينقل لنا الترجمة الكاملة لقصيدة الشاعر الفارسي رشيد الياسمي في تحية الدكتور عزام .

ويتضمن الكتاب فصولا اخرى عديدة تتناول جوانب ومناح أخرى من حياة وادب مريده الدكتور عبد الوهاب عزام ، لا سيما آثاره الشعرية في المثاني والنفحات ، فعزام ، رغم ما شهر عنه من مراسه بفنون الكتابة الادبية ، فهو شاعر من أصحاب الاذواق :

ان في خلوة النفوس لأنسا   ليس كفئا لخلوة كل نفس
هي في ضجة الانام سكون   يسمع القلب عنده كل همس
وهي في فرقة النفوس اجتماع   ترهف السمع عن كل حس
وهي في فسحة الخيال انطلاق   دون قيد من الجليس وحبس
هي هدي العقول بعد ضلال   في خداع من الحياة ولبس
هي في ظلمة الليالي ضياء   لا تراه النفوس في ضوء الشمس
من يضق بالخلاء نفسا فاني   أجد الخلوة الطويلة أنسي

وبعد فكتاب الدكتور زكي المحاسني واحد من الكتب النافعة المتكفلة برسم صورة بارعة لواحد من الرواد الراحلين من اعلام النهضة الادبية الحديثة في العالم العربي ، مت له ذات يوم ، وأبان مرحلة من مراحل العمر ، باكثر من آصرة او سبب ، فاستكنه طبيعته الشخصية ومزاجه النفسي وقبس من قيمه الاخلاقية ومبادئه الانسانية ، فترتب على كل هذه الاعتبارات والدلائل ان يجيء الكتاب محملا بالوفر مغتنيا بالجدوى ، مسعفا بالنسبة لمن لم يطلع على آثار عزام الادبية والفكرية ويعنى بتدارسها من قبل في امكان الوقوف على مجهوداته الطيبة المحمودة في نهضة البيان العربي وانطلاقه من أسر الركود والجمود ، وانفتاحه شطر الافاق الانسانية الرحبة والقيم الرفيعة الباقية .

الحلة ـ العراق   مهدي العبيدي

•

بـارانتـيز

PARENTHESE

قصائد بالفرنسية للانسة هدى أديب ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مجلة الاديب ببيروت .

حين كتبت في مجلة « الاديب » دراسة تحليلية لشعر الشاعر الكبير الكبير احمد راسم وكان صديقا لصاحب « الاديب » ، يومئذ أيقنت ان الروح الشاعرة تظهر في أية لغة ، ولم يكن ليضير الشاعر احمد راسم ديوانه بالفرنسية . ثم أتي حين من الشهور كتبت فيه ـ فى الاديب ايضا ـ مقالا عن ديوان « ضياء وشقاء » لاخي العميد الفيلسوف الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية ، بالمغرب العربي بالرباط ، ومنذ حين أرسل الي ديوانه الثاني بالفرنسية وقد سماه « صوتي ، باحثا عن دربه » فعكفت على تحبير دراسة له لتظهر في « الاديب » ، وتلك ظاهرة في لبنان وديار المغرب لم نعرفها في ديارنا الشامية ، وهي ظهور دواوين شعر بالفرنسية لشعراء أو شاعرات عرب ، اللهم ، الا ما ندر ، كما صنعت « كوليت الخوري ». وكنت منذ سنين بعيدة عرفت الشاعر هيكطور خلاط الذي فاض شعره بالفرنسية وشاركت بالاعجاب به الكاتب العبقري عمر الفاخوري ـ يرحمه الله .

وحضرت في السنة الفائتة ندوة شاعرة في عشية من عشايا انطلياس ، كان موضوعها الكلام على ديوان بالفرنسية للشاعرة « فينوس خوري » التي كانت أصابعها تداعب ديوانها وقد بدت ليلية الشعر مكحولة العينين فزاد شعرها اختلابا وحسنا .

واليوم يتحفني البريد وانا بضفاف بردى بدمشق بديوان شعر بالفرنسية جديد ، ألفته الشاعرة الملهمة « الانسة هدى اديب » بنت الصديق الغالي الاستاذ ألبير اديب .

لقد عاد بي هذا الديوان الى ثلاثين عاما ، خلت ، حين أصدر والد الشاعرة ديوانه الفكري الذي سماه « لمن ؟ » ويومئذ شرحت هذا العنوان بشروح كان أحدها ما أعانني عليه الفيلسوف الاغريقي الجوال « ديوجينيس الكلبي » الذي كان يحمل في رابعة النهار مصباحا متقدا ، فيسأله المارة :

ـ فيم تصنع ذلك ؟ .

فيجيب في غير تصنع جوابا كان لا يريم عنه لدى كل سائل :

ـ أبحث عن الرجل !

الرجل المجهول النادر في مثاله ، الذي لا يضمه الوجود .

وكذلك كان ديوان الاستاذ الكبير ألبير أديب « لمن ؟ » مدعاة للبحث عمن يفهم هذا الشعر الطلق المرسل ، الذي وفق فيه وحده في هذا العصر ، وضل في هذا الشعر السبيل اكثر من عانوه حتى يومنا هذا .

وكذلك يطلع علينا ديوان « هدى أديب » بالفرنسية وعنوانه « بارانتيز » وقد رحبت لأترجم هذه الكلمة أو لاعربها ، ان جاز لي دون المجامع العلمية والادبية حق التعريب ، وان من أغرب العناوين هذا العنوان . فنحن نقول : تكلم زيد كلاما في صدد ثم جاء بكلام معترض يصح ان يوضع بين قلامتين فيكون جملة اعتراضية أو معترضة، فهل كان موضوع هذا الديوان الجميل كصاحبته ، قد اتخذ قصائده برمتها اعتراضية ، اي آتية في سياق الحديث الكبير ، وما أحسب الحديث الكبير الا كلام الوجود ومنطق الدهر وشعر الكون . ولعل علماء البلاغة العرب قد حذقوا وصف الجملة الاعتراضية حين قرروا في بيت امريء القيس هذا الاعترض ، حيث يقول مخاطبا بسباسة ابنة عمه التي كان يعشقها ، فدعا أن يمطر المطر أرضها ، شريطة ان لا يغرقها بالماء :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمي

فكانت الجملة المعترضة او الاعتراضية : قوله « غير مفسدها »

... وديوان « هدى » شعر وجداني بحت ، يموج بالافكار والخواطر الميادة المتراوحة بين التأمل والفلسفة التي لا تضني العقل ، فكأنه انغام مسلسلة مصفاة ، وان وزن الشعر الفرنسي ـ La verification وكان فيكتور هوغيو يحذقه كل الحذق حتى نظم على كل أوزانه ، ولا اجد وزن الشعر الفرنسي يند عن وزن الشعر العربي الذي جاء به الخليل بن احمد الفرهوديّ ، ولعلي محاول وضع أبيات من القصيدة الاولى بديوان « كلمة معترضة « لهدى أديب » بالشعر العربي وعنوان القصيدة « ملال ، من أنفسنا » .

رهن انتظار جاءني الملل   وغدا السكوت يضيمه الصخب

وذبابة طافت مدمدمة لا يرتجى في دفعها ارب
والشعر ملفوف لتسلية حول الاصابع ناله التعب
والذكريات أتت تخالطني ومن الملال اللهو ينسكب
أخفيت في عيني شعاع منى في طيه الآمال تحتجب
هذي دموعي وهي شاجية بات الدجى فيهن ينتحب
يا نظرة شردت لتلهيني فأتى الملال يسوقه العجب ..

وهي قصيدة يدور كلام الشاعرة فيها حول السأم والتأمل في اجواف التثاؤب .

ولست أجور على الشعر ، فان نقله من لغة الى لغة ثانية اعنات وحمل له على الضيم ، وقد أثار خيالي كلام الشاعرة على الذباب المطنطن الذي يجتذب سمع الصمت ، فذكرت عنترة العبسي في شعره المراح الجاهلي ، حيث يقول في دار عبلة :

وغدا الذباب بها فليس ببارح هزجا كفعل الشارب المترنم
أبدا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم

والديوان تناسق أنغام ملائكية ، وصور وتلاوين استطاعت قريحة الشاعرة الموهوبة الانسة « هدى أديب » أن تسكب فيها الحياة في أطر سابية ، فكأنها من صنع مصور ماهر وقد اتخذت الشاعرة اسماءا رمزية لبعض قصائدها كقولها :

في فضاء الراحة ، وبصمات في سواد

اما قصيدة « معترضة » Parenthèse فجاءت في أواخر الديوان تقول فيها :

في الساعة المتراوحة
الجاثمة في الانتظار
في برهة تثور
وساعة رهن المثول
والازاهير هي الازاهير
هففن في نهار واحد
يصعدن الرؤوس
ثم انثنين ذابلات

وتسيطر على الديوان في اكثر قصائده كلمات السأم والملال والانتظار ، وهذا دليل مكين بأن قلب الشاعرة مهما يخامره الضجر فهو ينتظر بزوغ الشمس الساطعة في النهار الكبير .

فلشاعرتنا أطيب الشكر على هديتها ، ولا عجب فانها زهرة فواحة في روض اخي الاستاذ الكبير البير أديب حقت في صفاتها مخابل النبوغ وكم رحت أتمنى لو أني اجيد عمل الشعر الفرنسي مثلها فاكتب لها قصيدة تحية لشعرها وكفاءا لنبوغها وخلقها الرفيع وتقديرا لعبقريتها الادبية .

دمشق — زكي المحاسني

١ ـ انها لذكرى

تأليف العلامة السيد شاكر البدري ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المدرسة الآصفية العلمية الدينية ـ مطبعة دار البصرى ببغداد

هذا هو عنوان الكتاب الذي اصدره فضيلة العلامة السيد شاكر البدري واعظ لواء بغداد وهو من منشورات المدرسة الآصفية العلمية الدينية في بغداد والكتاب يبحث باختصار عن تاريخ مدينة القدس منذ بناها « مليكصادق » احد ملوك اليبوس من العرب القدامى وذلك قبل السيد المسيح بثلاثة الاف سنة الى يومنا هذا ، وقد عكف المؤلف على بعض المصادر القديمة كمعجم البلدان لياقوت الحموي والسيرة النبوية لابن هشام ، والنوادر السلطانية لبهاء الدين بن شداد ، كما استقى من بعض المصادر الحديثة اخص بالذكر منها : « لقاء عند بوابة مندلبوم » للاستاذ احمد فوزي عبد الجبار و « تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم » للاستاذ محمد دروزة وغيرهما من المصادر الحديثة . وبعد ان يتكلم المؤلف عن المسجد الاقصى وقبة الصخرة وكيف ان صلاح الدين الايوبي اعاد اليه روعته وهيبته بعد ان أنتابته يد التغيير يأتي بقصيدة تتجاوز ابياتها المائة بيت يسرد فيها قضية مدينة القدس ، وانها لقصيدة رائعة تتأجج فيها العواطف الثائرة والايمان الصادق باعادة الحق الى اهله ويصف كيف ان السيد المسيح عليه السلام قد لاقى الامرين من اليهود فيقول :

في فترة قام بالتبليغ منذرهم (عيسى ابن مريم) ذاك السيد السند
حاشا (المسيح) وحاشا ان تدنسه يد اليهود وقد غلت بما حقدوا

الى ان يقول :

واتخذوا من مقام القبر مزبلة قمامة بأذى الاقذار تقتصد
حتى أتت بجيوش الروم مسرعة (هيلانة) بأجيج الثأر ترتعد
فشتت شمل (صهيون) وعصبته وطهرت قبره من رجس ما حشدوا

ومن ثم نراه يشيد بالمسلمين الاوائل وباقدامهم وشجاعتهم وكيف ان النصر كان حليفهم :

ما فر جيشهم المقدام من فزع كلا ولا ردهم عن قصدهم احد
يسير في مهمة الاخطار مقتحما سوح المقامع لا ينتابه الكمد

الى ان يقول :

سل عنهمو الدهر بل سل كل نازلة وسل دروب لقاهم حيثما وجدوا

ومن ثم يتحدث عن نكسة ٥ حزيران وعن مجلس الامن ، ومن ثم يدعو الى الوحدة والتكتل والتمسك بالايمان :

فاجمعوا امركم تحظوا بوحدتكم واستمسكوا بعرى الايمان واعتمدوا

وعلى ذكر الايمان يحضرني قول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام : (... ان كان لكم ايمان ولا تشكون ... ان قلتم لهذا الجبل انتقل واهبط في البحر فانه يكون ذلك) انجيل متى الفصل ٢١ : ٢١ .

وفي ختام كتابه هذا يدعو المؤلف الفاضل الى الجهاد في سبيل الله ويذكر المسلمين بتلك الانتصارات والفتوحات العظيمة التي احرزها المسلمون الاولون ، ويختتم هذا الكتاب بخير ما يختتم به بحث وهو قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وان الله لمع المتقين المحسنين) .

٢ ـ مصطفى صادق الرافعي

تأليف الدكتور كمال نشأت ـ ١٥٢ صفحة ـ سلسلة اعلام العرب ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

كان مصطفى صادق الرافعي علما من أعلام الادب وشاعرا وكاتبا واديبا ومؤرخا ، واماما من ائمة الدين خدم العربية خدمة صادقة ، وترك بوفاته فراغا كبيرا ، فقد كان يرن صوته في اصداء الزمن فتتجاوب صداه في اقطار العروبة ، نرى في كتاباته ونحس بانات الموجعين ، ونلمس في ثنايا سطوره صرخات المتألمين ، ودموع البائسين ، فقد صور لنا في كتاباته الحب القدسي الطاهر ، والانسانية السامية والبشرية المتألمة ، وصور الحياة بافراحها واتراحها ، ببؤسها ونعيمها ، بحبورها وشقائها .

كان الرافعي يمثل عصرا من عصور الادب ، وجيلا من اجيال الطهر والقداسة ، ونمطا قائما بنفسه من الاباء والفخر .

لقد كان في اسلوبه الفن العميق ، والتعبير الدقيق ، والاداء

الواضح ، وهو يترجم ما تجيش اعماق نفسه من خفايا فيسجلها في سطور تأخذ بمجامع القلوب وترتفع الى قمة المجد والخلود .

والدكتور كمال نشأت احيا صفحة مشرقة من تراثنا العربي الخالد عندما جمع لنا في كتابه هذا بعض الاشتات التي ربما كادت ان تضيع في مهاوي النسيان ولانفض هذا العقد الجميل الذي لا يمكن جمعه ان عفت عليه الايام ودارت عليه الدهور . كما ان للدكتور شوقي ضيف الفضل في استنهاض همة الدكتور نشأت للكتابة عن الرافعي وادبه ، فالرافعي منذ اكثر من ربع قرن لم يلتفت ولم يعن بدراسته احد ولم يحتفل بذكراه على مر السنين .

لقد قسم المؤلف الكتاب الى فصول فتكلم عن حياة الرافعي فى عام ١٨٨٠ ووفاته في عام ١٩٣٧ ، وعن المرأة في حياته وعن مناظراته مع العقاد وطه حسين وعبد الله عفيفي ، وعن مؤلفاته ودواوينه وفنه الادبي ككاتب وقاص وشاعر وناقد ، وفي نهاية الكتاب استشهد بنموذج كامل من أدب الرافعي تحت عنوان « الربيطة » .

والشيء الذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب هو تحليل المؤلف لنقد الدكتورة نعمات فؤاد للرافعي فقد اماط الدكتور نشأت اللثام عن التحامل البعيد عن النقد الموضوعي ، فمرة تعيب الدكتورة نعمات على الرافعي فقره ومرة اخرى مرضه وثالثة عدم ولائه لمصر لانه تبرم بالحياة ومما جاء في رد الدكتور نشأت ان حافظ ابراهيم ايضا باستطاعتنا ان نتهمه بانعدام الوطنية وهو القائل صحيفة (٢٠) :

وما انت يا مصر دار الاديب وما انت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب اقال اليراع ولم يكتب

اما عيبه عليه مرضه فقد استشهد المؤلف بأن كثيرا من الفنانين والادباء الكبار أمثال ديستوفسكي وكافكا وبيتهوفن وغيرهم كانوا يعانون من امراض قاهرة ولم ينقص ذلك من ادبهم شيئا .

وفي صحيفة (٨٤) يقول المؤلف : والرافعي يعيش في جو من التعبير الجزل والصياغة المحبوكة بحيث يخيل اليك وانت تعيش معه فيما كتب انك تعيش مع كاتب عباسي ويستشهد بقول الاستاذ محمد سعيد العريان « تقرأه فتحسبه رجلا من التاريخ قد فر من ماضيه البعيد وطوى الزمان القهقرى ليعيش في هذا العصر ويصل حياة جديدة بحياة كان يحياها منذ الف سنة أو يزيد في عصر بعيد » .

وفي صحيفة (١٠٣) يذكر المؤلف تحامل الدكتورة نعمات فؤاد على الرافعي وتتهمه بانه كان بمنأى عن موسيقى الالفاظ وغير قادر على تذوق جرسها .

ويجيب الدكتور نشأت ان ميزة الرافعي الكبرى انه أديب صاحب اسلوب تتحقق فيه خصائص الاسلوب الادبي العالي ، ومن خصائص الاسلوب الادبي الايقاع وادب الرافعي كله يدل على سلامة جرسه اللفظي ...

اما ما يؤاخذ عليه المؤلف فهو بعض المكرر المعاد فعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في صحيفة (٣٧) حبه لمي وانه اخبر زوجته بهذا الحب الطاهر ، وقد سبق تكرار هذا في صحيفة (١٤) .

والان لنقف مع الدكتور نشأت على بعض الابيات المختلة الوزن في صحيفة (١٢١) وعلى ما اعتقد ان القصيدة من بحر (المتدارك) :

سألت كيف رأى وجهها فقال جل الله فيما خلق

والصحيح وجهها حتى يستقيم الوزن ، وربما كان الخطأ مطبعيا .

ولكن في بيت اخر :

قلت وذاك الثغر ما امره فقال لما ذكرتك انطبق

ان اذني الموسيقية تأبى ان يكون هذا العجز مستقيما مع شطره . هذا وان هذه الهنات الهينات لا تحط من قيمة هذا الكتاب القيم الذي يستحق الثناء ويستأهل التقدير .

بغداد

عبدالخالق عبدالرحمن



● ليالي الفندق ـ تأليف بولس سلامة ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ مطابع دار الكتاب اللبناني ببيروت .

● من القصص العالمي ـ ترجمة عيسى الناعوري ـ مراجعة : محمود سيف الدين الايراني ، جريس القسوس ، حسام الدين اللحام ـ ٢٣٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر بعمان ـ المطبعة الوطنية بعمان .

● كتاب الالفاظ المستعملة في المنطق ـ تأليف ابو نصر الفارابي ـ حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محسن مهدي استاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة شيكاغو ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● عروبة لبنان ، تطورها في القديم والحديث ـ تأليف محمد جميل بيهم ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● عاشها كلها ـ تأليف الدكتور كاظم الداغستاني ـ ٣٢٨ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع المتني بفرن الشباك لبنان .

● قضية فلسطين ـ تأليف زيد بن عبد العزيز بن فياض ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع القصيم بالرياض .

● نشيد الكون ـ تأليف تيار ده شاردن ـ ترجمة الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي والخوري فرنسيس البيسري ـ ١٤٦ صفحة ـ منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● اثنان في واحد ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور علي الناصر ـ تقديم الدكتور عبد السلام العجيلي ـ اللوحات بريشة عدنان ميسر ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات دار الرائد بحلب ـ مطبعة الشرق بحلب .

● الدفن بلا ثمن ـ مجموعة قصصية ـ تأليف سهيلة الحسيني ـ رسم الغلاف جاسم مصطفى ـ الرسوم الداخلية بريشة سلمان داود الشهد ـ ١٣ صفحة ـ مطبعة راشد ببغداد .

● الزجاجة والذباب ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد الله رستم ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة عقيل الحديثي ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● أيام العطالة ـ مسرحية في أربعة فصول ـ تأليف أدمون صبري ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ تأليف عبد الحليم الندوي استاذ الادب العربي بالجامعة الملية الاسلامية في نيودلهي ـ ١٨٨ صفحة ـ مطبعة نوري المحدودة في مدراس بالهند.

● Ibn Khaldûn - par Mohamed Aziz Lahbabi, Doyen de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Rabat - 200 pages - Collection «Philosophes de tous les Temps» — Editions Seghers, Paris.

● Parenthese - poêmes - par Mlle Hoda Adib — 80 pages — Editions Revue Al-Adib, Beyrouth, Liban — Imprimerie Minute Presse, Beyrouth.